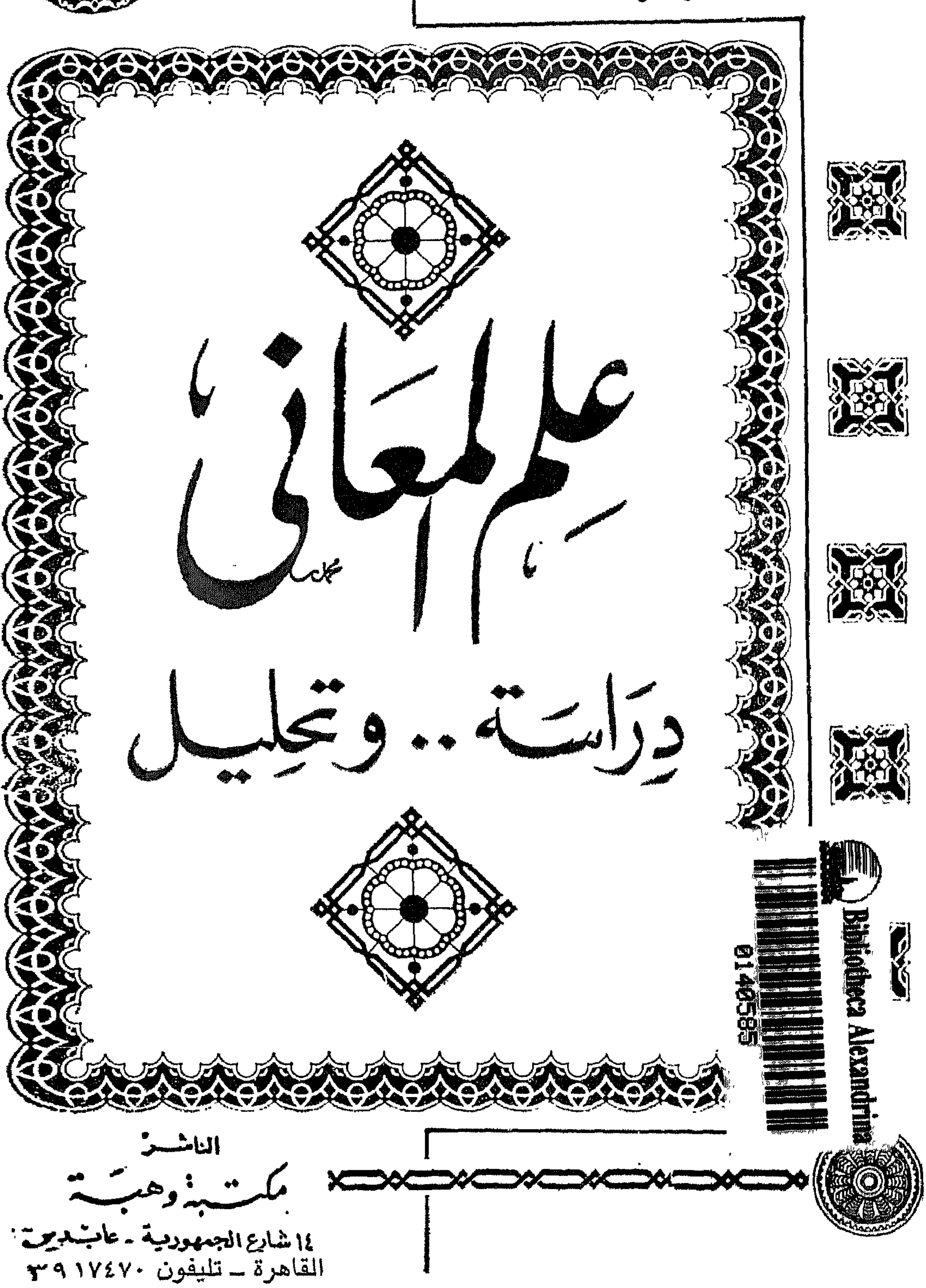
الدكتورة كريمة محمود أبو زيد
مدرس البلاغة والنقد
كلية الدراسات الاسلامية والعربية
جامعة الأزهر



علم المعاني

دراسة .. وتحليل

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الدكتورة كريمة محمود أبو زيد
مدرس البلاغة والنقد
كلية الدراسات الاسلامية والعربية
جامعة الأزهر

علم المعاني

دراسة .. وتحليل

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

الطبعـة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م

دار التوفيق النموذجية
للطباعة والجمع الآلي
الأزهر ٣٢ ش حسان الموصلي بجوار جامع الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

« الرحمن • علم القرآن • خلق الانسان • علمه البيان »

« صدق الله العظيم »

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

الى من ادين لهم بالعلم والفضل ..

الذين كانوا نبراسا للأخلاق قبل ان يكونوا اعلاما للعلم ..

الذين علمونى ان العلم امانة وانه فرض على كل مسلم ومسلمة ..

لهم جميعا اقدم ثمرة جهدهم وحصاد غرسهم ..

د. كريمة أبو زيد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله على كثير نعمائه التى لا تحصى ولا تعد ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق الذى أوجز الكلام بلا خلل وافاض المعنى بلا ملل ·

وبعـــد ··

فهذا الكتاب « علم المعانى ·· دراسة وتحليل » اتعرض فيه لدراسة أحوال التراكيب التى تتعرض لأحد الفنون البلاغية التى تعالج الصور المختلفة لأحوال اللفظ العربى ، وكذلك أحوال الجملة فى اللغة العربية من تقديم وتأخير ، وذكر وحذف وتنكير وغيرها ، بل أيضا ما يتعلق بركنى الجملة الأساسيين ـ المبتدأ والخبر ـ من مكملات ، كالجار والمجرور والحال والظـرف ، والتمييز وغـيرها ، والأثر البـلاغى الكـامن فى التعبير بهذه المكملات ·

وقد تعرض البلاغيون المتقدمون للتصدى للكشف عن هذه الأسرار البلاغية التى تكمن فى مواطن التعبير بها · وقد اتخذتها النفس سبيلا للتعبير عما يجيش فى مكنوناتها ·

ويعد علم المعانى أحد علوم البلاغة الثلاثة التى يراعى الأديب أو الناظم قواعده عند الكلام ، ثم يكون عليه بعد ذلك مراعاة ان يكون الكلام واضح الدلالة على المعنى المراد من تشبيه أو استعارة أو كناية ، وغيرها من الصور البلاغية التى تعد من مباحث « علم البيان » ثانى العلوم البلاغية · ثم يبقى تحسين الكلام وتنميقه وهو ما يعرف بـ « علم البديع » ثالث علوم البلاغة ·

فمهمة هذه العلوم ان تضع ايدى الكاتب على طرق صياغة الأسلوب الصحيح الخالى من العيوب ، والتى تسلمه من براثن النقد ، فتأتى قصيدته الشعرية أو مقالته الأدبية أو قصته أياً ما كان لونها ، أو كان محدثاً لجمهور من الناس ، كان الأسلوب قوياً سليماً شائقاً مؤثراً فى الذات والحس ٠

ولا شك أن أقوى الكتب وأسلمها من الناحية البلاغية « القرآن الكريم » الذى نزل بلغة أهل الجزيرة العربية وهم من هم فى الفصاحة وفى تأليف الكلام القوى الجزل ٠ وليس أدل على ذلك من موقف الوليد بن المغيرة حين سمع القرآن الكريم فقال قولته الشهيرة : « ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان أعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق » ٠٠٠٠ الخ ٠

وهذه العلوم الثلاثة حينما نقوم بدراستها فاننا نهدف من وراء ذلك الى اعانة قارىء العربية على فهم « القرآن الكريم » ، وتدبر معانيه ، وخفايا أسراره ، وتذوق أساليبه ، للوصول الى عميق حكمته وتفصيل أحكامه ٠

وفى كتابى هذا تعرضت لأحد هذه العلوم البلاغية الثلاثة ــ علم المعانى ــ ليكون عوناً لدارس البلاغة للنهوض بمعرفة ثلث علومها ، وعليه ان يتابع ثلثيها الآخرين حتى تتم له المعرفة الكاملة بخفايا أسرار الأساليب مما يعينه على فهم القرآن الكريم فهماً عميقاً كاملا ٠

وأسال الله ان ينفع بهذا الكتاب ، والله من وراء القصد وهو الهادى الى سبيل الرشاد ٠

د٠ كريمة أبو زيد

عابدين فى ٢١ من المحرم سنة ١٤٠٨ هـ
١٤ من سبتمبر سنة ١٩٨٧ م

***

الباب الأول

الفصاحة .. والبلاغة

- الفصاحة .
- البلاغة .

الفصل الأول

الفصاحة

الفصاحة لغة : من قولهم « افصح فلان عما فى نفسه : اذا أظهره والشاهد على أنها هى الاظهار ، قول العرب : فصح الصبح اذا أضاء . وأفصح اللبن اذا انجلت عنه رغوته فظهر ، وفصح أيضا ، وافصح الأعجمى : اذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبين . وفصح اللحان اذا عبر عما فى نفسه وأظهره على الصواب دون الخطأ »(١) .

● **الفصاحة اصطلاحاً :** هى كون الألفاظ بينة واضحة متبادرة الى الفهم ، مأنوسة الاستعمال .

والفصاحة تقع وصفاً للكلمة ، والكلام ، والمتكلم .

فتقول فى المفرد : كلمة فصيحة . وفى الكلام : قصيدة فصيحة .

وفى المتكلم : شاعر فصيح .

* * *

---

(١) « كتاب الصناعتين الكتابة والشعر » لأبى هلال العسكرى تحقيق على محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم ص ١٢ طبع عيسى الحلبى سنة ١٩٧١ .

فصاحة الكلمة

وقد تعارف البلاغيون المتأخرون(٢) أمثال الخطيب القزوينى (ت ٧٤٩ هـ) ، والشيخ سعد الدين التفتازانى (ت ٧٩٢ هـ) على أن فصاحة المفرد لا بد من خلوها من عيوب أربعة :

١ ـ تنافر الحروف ٠

٢ ـ الغـرابة ٠

٣ ـ مخالفة القياس اللغوى ٠

٤ ـ الكراهة فى السمع ٠

وسنتعرض بالتفصيل لكل منها ٠

١ ـ **تنافر الحروف :** هو وصف فى الكلمة تكون بسببه متناهية فى الثقل على اللسان ، عسر النطق بها ٠

وهو نوعان :

(أ) شديد فى الثقل :

كلفظ « الهعخع » التى وردت فى رواية ان أعرابياً سئل عن ناقته فقال : « تركتها ترعى الهعخع »(٣) فقد قيل : ان هذه الكلمة لا أصل لها ، « وكالظش » للموضع الخشن ٠

---

(٢) « دلائل الاعجاز » للشيخ عبد القاهر الجرجانى ص ٣١ وما بعدها وشروح التلخيص ج ٧٦/١ ، ٧٧ ٠

(٣) « قيل انه اسم شجر ، وقيل انه معاياه لا أصل لها ٠ ومثاله : كل كلمة يجمع فيها بين العين والحاء ، أو بين الغين والخاء ، أو بين الجيم والصاد ، أو بين الجيم والقاف مثل : عقجق ، والظش ، والشصاصاء ونحوها » ٠ ينظر بغية الايضاح ج ١٢/١ ٠

(ب) **خفيف فى الثقل :**

كلفظ « مستشزرات » فى قول امرىء القيس :

وفـرع يزين المتن أسـود فاحم   اثيث كقنو النخلة المتعثكل(٤)
غدائره مستشررات الى العـلى   تضل المدارى (٥) فى مثنى ومرسل (٦)

ومستشزرات ـ بفتح الزاى : أى مرفوعات ومعنى البيتين أن : الشعر يزين الظهر ، أسود شديد السواد كالفحم ، وهو غزير كعنقود النخلة المتراكم بالرطب . وذوائبه مرفوعات الى أعلى ، ولكثرة هـذا الشعر تغيب فيه الأمشاط . فهو ما بين مفتول ، ومثنى ومرسل ، فهناك تنافر واضح فى كلمة « مستشزرات » .

[ومثله كلمة : « اطلخم » فى قول أبى تمام :

قد قلت لمـا اطلخم الأمر وانبعثت   عشواء تالية غبسا دهاريسا (٧)

فكلمة « اطلخم » فيها كراهة فى السمع والذوق وهى أيضا غريبة غير متداولة ، وكذلك لفظ « دهاريسا » . وكذلك لفظ : مثعنجر : للسائل من المـاء أو الدمع . وكذلك : « العثلوج » بمعنى الغصن . والشوحط : بمعنى شجر البان] .

---

(٤) فرع المراة : شعرها ، والمتن : الظهر . والأثيث : الكثير الشعر والقنو : العنقود ، والمتعثكل : المتراكم .

(٥) فى رواية أخرى : العقاص .

(٦) الغدائر : الذوائب . والمستشزرات : المرتفعات . والمدارى : الأمشاط : جمع مدرى . والمثنى : المفتول . والمرسل : غير المفتول .

(٧) اطلخم الأمر : بمعنى اشتد ، والعشواء : الناقة التى لا تبصر ليلا ، غبسا : جمع غبساء وهى الظلمة الشديدة ، دهاريسا : دواهى ، مفرده : دهريس .

٢ ـ الغـرابة :

أن تكون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ، ولا مألوفة الاستعمال عند العرب الفصحاء . ويعد لها نوعان :

(أ) فمنه ما يحتاج الى البحث عنه فى كتب اللغة المبسوطة .

كما روى عن عيسى بن عمر النحوى . انه سقط عن حمار ، فاجتمع عليه الناس فقال : « مالكم تكأكأتم على كتكأكؤكم على ذى جنة ، افرنقعوا عنى » . أى اجتمعتم ، تنحـوا . فالغريب فى الاســتعمال قوله : « أفرنقعوا » .

وكلفظة « كهل » فى شعر بعض الهذليين :

فلو كان سـلمى جاره أو أجاره ‏ رياح بن سعد رده طائر كهل(٨)

« سئل الأصمعى عنه فلم يعرفه . وقيل : انه الضخم »(٩) .

وكلفظة : « مشمخر » فى قول بشر بن عوانة يصف الأسد :

فخـــر مدرجـــا بـــدم كـــأنى ‏ هدمت بــه بنــاء مشـــمخرا

(ب) ومنه ما يخرج له وجه بعيد وذلك لعدم شيوع الكلمة .

---

(٨) البيت لأبى خراش الهذلى ، والمراد « بالطائر الكهل » الحظ السعيد . والبيت من قصيدة مطلعها :

كأن الغــلام الحنظلى أجاره ‏ عمانيــة قــد عم مفرقها القمل

ديوان الهذليين ص ١٦٥ ط . دار الكتب .

(٩) « الاشارات والتنبيهات فى علم البلاغة » تصنيف محمد بن على بن محمد الجرجانى تحقيق د. عبـد القادر حسين ، ص ٤ ، ٥ ط . دار نهضة مصر الفجالة سنة ١٩٨٢ .

كلفظة « المسرج » فى قول العجاج :

أيام أبدت واضحاً مفلجا أغر براقاً وطرفاً أبرجا

ومقلة وحاجباً مزججا وفاحماً ومرسناً مسرجاً(١٠)

« فانه لم يعرف ما أراد بقوله : « مسرجا » حتى اختلف فى تخريجه فقيل : هو من قولهم للسيوف : سريجية ، منسوبة الى قين يقال له سريج ، يريد أنه فى الاستواء والدقة كالسيف السريجى ، وقيل : من السراج يريد أنه فى البريق كالسراج ، وهذا يقرب من قولهم : سرج وجهه ــ بكسر الراء أى : حسن . وسرج الله وجهه : أى بهجه وحسنه »(١١) .

٣ ــ مخالفة القياس :

وهو أن تجىء اللفظة مخالفة لما تعارف عليه اللغويين والنحاة .

مثل لفظة « الأجلل » فى قول أبى النجم :

الحمد لله العلى الأجلل الواحد الفرد القديم الأول

فلفظة « الأجلل » مخالفة للوضع الصرفى . فالقياس « الأجل » بالادغام . والذى ألجأه لفك الادغام ضرورة الشعر الا أن ذلك مخلا بفصاحة الكلام لأنه من الضرورات الشعرية ما هو مستقبح .

وكذلك ما جاء فى قول سيبويه :

مهلا أعاذل قد جربت من خلقى انى أجود لأقوام وان ضننوا

فلفظة « ضننوا » مخالفة للقياس . والقياس « ضنوا » بالادغام .

---

(١٠) مزججاً : مدققاً مطولا . والفاحم : الشعر الشديد السواد . والمرسن : بكسر الميم وفتح السين كمنبر ، وبفتح الميم وكسر السين كمجلس. والمرسن : اسم المحل . الرسن هو انف البعير ثم أطلق وأريد به الأنف مطلقا على سبيل المجاز المرسل ومعناه : أنه ذا لمعان .

(١١) البغية : ج ١٥/١ .

٤ ـ الكراهة فى السمع :

كما يعرفه الخطيب القزوينى « بأنه تمج » الكلمة ويستبرأ من سماعها كما يتبرأ من سماع الأصوات المنكرة ، فان اللفظ من قبيل الأصوات ، والأصوات منها ما تستلذ النفس سماعه ، ومنها ما تكره سماعه»(١٢) .

يقول الامام محمد بن على الجرجانى (ت ٧٢٩ هـ) نقلا عن ابن سنان الخفاجى : « ان لفصاحة المفرد سبباً آخر وهو أن تجد لتأليف اللفظة فى السمع حسناً ومزية على غيرها أى خلوص الكلمة من الكراهة فى السمع : كتأليف الغصن ، والفنن ، فان كل سامع يدرك بالضرورة تفرقة بين اغصان البان ، وبين عساليج الشوحط(١٣) ، فان انكر منكر ذلك ثم غنى بأحدهما مغن ، والآخر الآخر لابد أن يعترف السامع بطربه بالأول ، دون الثانى ، والا لخرج عن جملة العقلاء ، وكذلك كلمة « تفاوح » في قول المتنبى :

إذا سارت الأحداج فوق نباته تفاوح مسك الغانيات ورنده(١٤)

فان لها فى السمع مزية لا ينكرها ذو طبع سليم ، وضده ما جاء فى فى قول المتنبى .

مبارك الاسم أغر اللقب كريم الجرشى(١٥) شريف النسب

(١٢) المصدر السابق ج ١٦/١ وما بعدها .

(١٣) عساليج الشوحط : شجر كثير الشوك يتخذ منه القسى .

(١٤) الأحداج : جمع حدج وهو مركب النساء ، والرند : نبت طيب الرائحة .

(١٥) الجرش : بكسر الجيم والراء مقصورا : النفس . والأغر من الخيل الأبيض الجبهة ثم استعير لكل واضح معروف . مبارك الاسم : يقصد الأمير على أمير حلب وقد وافق اسمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه .

فان لتأليف « الجرش » كراهة فى السمع ، ونبواً عنه ، فالمعنى : « أى كريم النفس »(١٦) ويرجع الامام الجرجانى (ت ٧٢٩ هـ) السر فى أن لبعض الألفاظ مزية فى السمع كما فى غصن ، وفوح الى سببين : « الأول : أن كل واحد مركب اعدل تركيب ، وهو فى الثلاثى ساكن الوسط ، حرف للابتداء به ، وحرف للاعراب والوقف عليه ، وحرف للفصل بينهما ولا يحتاج الفاصل الى حركة . الثانى : أن كل واحد مركب من حروف متباعدة فى المخرج مرتبة على سمت واحد ، وحركة واحدة للآلة ، فان الفاء من أعلى المخارج والواو من أوسطها والحاء من اسفلها . واما نحو « عساليج الشوحط » و « الجرش » فكراهة السمع له للغرابة »(١٧) .

بينما يرى الامام السبكى أن : « الكراهة من جهة الصوت لا تعلق لها بالفصاحة لأن السمع قد يستلذ بغير الفصيح اذا نطق به حسن الصوت ، وقد يكره السمع الفصيح اذا نطق به قبيح الصوت »(١٨) .

والامام السبكى يرى أن : « كراهة لفظ « الجرش » ترجع الى تتابع الكسرات ، وبعضهم يرى أنه لا كراهة فيها »(١٩) .

ومثله كلمة : « اطلخم » فى قول أبى تمام :

قد قلت لما اطلخم الأمر وانبعثت   عشواء تالية غبساً دهاريسا(٢٠)

---

(١٦) الاشارات والتنبيهات للامام محمد الجرجانى (ت ٧٢٩ هـ) تحقيق د. عبد القادر حسين ص ٩ ، ١٠ بتصرف .

(١٧) المصدر السابق ص ٩ ، ١٠ ـ « العثلوج » بمعنى الغصن . و « الشوحط » بمعنى شجر البان .

(١٨) ينظر « حاشية الدسوقى » ضمن شروح التلخيص . ج ١/٩٠ ، ٩١ .

(١٩) « عروس الأفراح » لبهاء الدين السبكى ضمن شروح التلخيص . ج ١/٩٠ ، ٩١ . بتصرف .

(٢٠) انظر هامش (٧) بصفحة ١٣ .

فكلمة « أطلخم » فيها كراهة فى السمع والذوق ، وهى ايضا غريبة غير متداولة ٠

وكذلك لفظ : « دهاريسآ » ٠ وكذلك لفظ « مثعنجر » للسائل من المـاء أو الدمع ٠ وكذلك « العثلوج »بمعنى الغصن ٠ و « الشوحط » بمعنى شـجر البان ٠

كما توجد بهذه الكلمات تنافر فى الحروف كما سبق أن ذكـرت ٠

« ولا ضابط لمعرفة الثقل والصعوبة سوى الذوق السليم والحس الصادق الناجمين عن النظر فى كتب البلغاء وممارسة اساليبهم »(٢١) ٠

وقد زاد الامام محمد بن على الجرجانى عوامل اخرى لفصاحة الكلمة نذكر منهـا :

١ ـ أن لا تكون الكلمة عامية « كتفرعن » فى قول أبى تمـام :

جليت والمـوت مبد حر صفحته وقد تفرعن فى افعاله الأجل(٢٢)

ويلحق بذلك ما حذف منه أو زيد على غير قياس ٠ اما الحذف فكقول رؤبة : « قواطنا مكة من ورق الحما » (٢٣) ٠

أراد : الحمام ٠ اما الزيادة فكقول ابن هرمة :

فأنت من الغوائل حين ترمى وعن ذم الرجـال بمنتـزاح

أراد : بمنتزح ٠

---

(٢١) « جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع » تأليف السيد المرحوم أحمد الهاشمى طبع ونشر دار احياء التراث العربى بيروت ٠

(٢٢) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله مطلعها :

فحواك عين على نجواك يامذل حتـام لا يتقضى قولك الخطل

ديوانه ١١٦/٣ ط دار المعارف ٠

وتفرعن مشتق من اسم فرعون ، وهو من الفاظ العامة ، وعادتهـم أن يقولوا : تفرعن فلان اذا وصفوه بالجبرية ٠ ينظر كتاب « الاشارات والتنبيهات » ص ٦ ٠

(٢٣) ديوان العجاج ٥٨/١ ، ٦٢ ٠

٢ ـ أن تكون الكلمة معبرة عن غير ما عبرت به العرب « كقسط »
فى قول أبى عبادة :

شرطى الانصاف لو قيل اشترط وعدوى من اذا قيل قسط

أراد بقسط : عدل ، وليس كذلك ، وانما هو بمعنى جار ، واقسط
بمعنى عدل ٠

٣ ـ أن تكون الكلمة غير خارجة عن حد الاعتدال كثيراً ، كمغناطيس
فى قول ابن نباته :

فاياكم أن تكشفوا عن رؤوسكم الا ان مغناطيسهن الذوائب (٢٤)

* * *

(٢٤) « الاشارات والتنبيهات » ص ٧ ، ٨ وما بعدهما تحقيق
د٠ عبد القادر حسين ٠

فصاحة الكلام

وهو : سلامة الأسلوب بعد فصاحة مفرداته مما يبهم معناه ·
ولابد من خلوصه من خمسة عيوب :

١ ــ ضعف التأليف ·

٢ ــ تنافر الكلمات مجتمعة ·

٣ ــ التعقيد اللفظى والمعنوى ·

٤ ــ كثرة التكرار ·

٥ ــ تتابع الاضافات ·

١ ــ ضعف التأليف :

ان يكون الكلام جاريا على خلاف المشهور من قوانين النحو المعتبرة عند جمهور العلماء · كالاضمار قبل ذكر مرجعه لفظا ورتبة ، كقول حسان بن ثابت :

ولو ان مجدا أخلد الدهر واحدا   من الناس أبقى مجده الدهر مطعما (١)

فالضمير فى « مجده » راجع الى « مطعما » وهو متأخر لفظا ورتبة ·

ومثله حذف « أن » مع بقاء عملها فى قول طرفة :

الا أيهـا الزاجرى أحضر الوغى   وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

حيث نصب الفعل المضارع « أحضر » دون وجودها ·

٢ ــ تنافر الكلمات :

منه : ما تكون الكلمات بسببه متناهية فى الثقل على اللسان وعسر النطق بها متتابعة :

---

(١) المعنى : أنه لو كان مجد الانسان سببا لخلوده فى هذه الدنيا لكان مطعم بن عدى وهو أحد رؤساء المشركين ، وكان يدافع عن النبى صلى الله عليه وسلم ·

كما فى قول الجاحظ :

وقبر حــــرب بمكان قفــــر   وليس قرب قبر حــرب قبر(٢)

فتكرار القاف مع الفاء والراء أوجب الثقل فى النطق مما اخل بفصاحة الكلام ٠

ومنــه : ما هو دون ذلك كقول ابى تمام :

كريم متى أمدحه امدحه والورى معى   واذا ما لمته لمته وحــدى(٣)

وقد ذكر الامام الجرجانى أن السر فى عدم فصاحته : « لا لاجتماع حرفى حلق فقط فى « أمدحه » ، كما قال المعاصر(٤) : لأنه جاء فى القــرآن مثله : « **وسـبحه ليلا طويلا** »(٥) ، ولا لمجرد تكرار الكلمة : والا لأخل ايضا تكرار لمته ، بل لهما معاً »(٦) ٠

٣ ـ التعقيد اللفظى والمعنوى :

وهو ان يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المراد به وهو قسمان :

(أ) التعقيد اللفظى :

ويعرفه الخطيب القزوينى فيقول : « فالكلام الخالى من التعقيد اللفظى ما سلم نظمه من الخلل ، فلم يكن فيه ما يخالف الأصل من تقديم او تأخير أو اضمار ، وقد قامت عليه قرينة ظاهرة لفظية او معنوية »(٧) ٠

---

(٢) هو فيما زعموا لبعض الجن ٠ والقفر : الخالى ٠ وهو مرفوع صفة لمكان على القطع أو خبر المبتدأ وهو « قبر » ٠ والمعنى : أنه مع مكانه قفر ، وفى هذا الوجه تكلف ٠ ينظر البغية ج ١٩/١ ٠

(٣) ديوان أبى تمام من قصـيدة يمدح فيهـا ابا الغيث الرافعى ويعتذر له ج ١١٦/٢ ٠

(٤) يقصد به الخطيب القزوينى (ت ٧٤٩ هـ) ٠

(٥) الانسان : ٢٦ ٠

(٦) « الاشارات والتنبيهات » ص ١١ ، ١٢ ٠

(٧) البغية ج ٢١/١ ٠

كقول الفرزدق يمدح ابراهيم المخزومى خال هشام بن عبد الملك ابن مروان :

وما مثله فى الناس الا مملكا أبو أمه حى أبوه يقاربه

فالترتيب الصحيح للبيت : وما مثله فى الناس حى يقاربه الا مملكاً أبو أمه أبوه ٠

فقوله : « وما مثله » ، يعنى ابراهيم الممدوح ، « فى الناس حى يقاربه » أى : لا أحد يشبهه فى الفضائل « الا مملكاً » : يعنى هشاماً أبو أم هشام هو : أبو الممدوح ، فالضمير فى أمه للملك وهو هشام ٠

« فقد فصل بين « أبو » وهو مبتدأ ، « وأبوه » وهو خبره ، بـ « حى » ، وهو أجنبى ، وكذلك فصل بين « حى » وجملة : « يقاربه » وهو نعت « حى » ، وقدم المستثنى على المستثنى منه ، مما جعل صعوبة شديدة فى الوصول لفهم المعنى المراد »(٨) ٠

ومن ذلك قول الشاعر يصف داراً لم يبق منها الا رسمها :

فأصبحت بعد حظ بهجتها كأن قفراً رسومها قلما ٠

والترتيب الصحيح لقول الشاعر :
فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسومها
فقدم واخر ، مما أدى الى التعقيد فى المعنى أيضا ٠

(ب) التعقيد المعنوى :

أن يكون التركيب خفى الدلالة على المعنى المراد بحيث لا يفهم معناه الا بعد عناء ، وتفكير طويل ٠ وذلك لخلل فى انتقال الذهن من المعنى الأول الى المعنى المقصود ، فتجد القرينة غير واضحة الدلالة على المعنى المقصود فتحتاج الى لوازم عدة حتى نصل للمعنى المراد ٠

أو أن يستخدم معنى فى غير ما تعارف عليه البلاغيون فى أساليبهم فيؤدى ذلك الى تعقيد فى المعنى ٠

---

(٨) المصدر السابق ج ١/ ٢٠ ٠

فمن ذلك قول العباس بن الأحنف :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا   وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

فقد كنى بسكب الدموع عن الحزن ، وقد اصاب فى هذا المعنى ، لكن جانبه الصواب حين كنى بجمود العين عن السرور الذى يوجبه دوام التلاقى ذلك لأنه حين يطلب من عينه أن تجود بالدمع لشدة فرحه وسروره فانها تجمد فذلك يكون كناية عن البخل وليس العطاء ٠ اذ لم يعرف فى كلام العرب عند الدعاء لشخص بالسرور أن يقال له : « جمدت عينك » أو : « لا زالت عينك جامدة » ٠ بل المعروف عندهم أن جمود العين انما يكنى به عن عدم البكاء فى حالة الحزن كما فى قول الخنساء :

أعينى جودا ولا تجمدا   الا تبكيان لصخر الندى

وكما فى قول أبى عطاء يرثى ابن هبيرة :

الا أن عينا لم تجد يوم واسط   عليك بجارى دمعها لجمود

« فالكلام الخالى عن التعقيد المعنوى ما كان الانتقال من معناه الأول الى معناه الثانى الذى هو المراد به ظاهره ، حتى يخيل اليه السامع أنه فهمه من حاق اللفظ »(٩) ٠

٤ ـ كثرة التكرار(١٠) :

وهو أن : « يتكرر اللفظ الواحد ، اسماً كان أو فعلا أو حرفاً ، وسواء أكان الاسم ظاهراً ، أو ضميراً ، تعدد مرة بعد أخرى بغير فائدة »(١١) ٠

---

(٩) البغية ج ١ / ٢٣ ٠

(١٠) المراد بالكثرة : ما فوق الواحد ٠ وانما شرطت الكثرة لأن التكرار بلا كثرة لا يخل بالفصاحة والا لقبح التوكيد اللفظى ٠

(١١) « جواهر البلاغة » للسيد أحمد الهاشمى ص ٢٦ بتصرف ٠

كقول ابى الطيب المتنبى :

وتسعدنى بغمرة بعد غمرة سبوح لها منها عليها شواهد(١٢)

والشاهد : فى كثرة الضمائر وتواليها فى قوله : « لها منها عليها » .

٥ ـ تتابع الاضافات :

وهو كون الاسم مضافاً اضافة متداخلة غالباً .

كقول ابن بابك :

حمامة جرعا حومة الجندل اسجعى فأنت بمراى من سعاد ومسمع

والجرعاء : مؤنث الأجرع : وهو المكان ذو الرمل لا ينبت شيئا ، وحومة الشىء : معظمه . والجندل : الحجارة . وهو مضاف الى الجندل . ومرأى ومسمع : اسما مكان ، والشاهد : فى اضافة حمامة الى جرعا ، وجرعا الى حومة ، وحومة الى الجندل .

وكقول الشاعر :

انى وأسطار سطرن سطراً لقائل يانصر نصر نصراً

وكقول ابى تمام فى المديح :

كأنه فى اجتماع الروح فيه له فى كل جارحة من جسمه روح

يذكر الامام عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ) : « قال الصاحب : اياك والاضافات المتداخلة ، فان ذلك لا تحسن ، وذكر انها تستعمل فى الهجاء كقول القائل :

يا على بن حمزة بن عمارة وانت والله ثلجة فى خيارة

(١٢) السبوح : السريعة . منقصيدة له فىمدح سيف الدولة مطلعها :
عواذل ذات الخال فى حواسد وان ضجيج الخود منى لماجد
ينظر الديوان ج ١/٢٧٠ .

قال الشيخ : « ولا شك فى ثقل ذلك فى الأكثر ، ولكنه اذا سلم من الاستكراه ملح ولطف مثل قول ابن المعتز :

وظلت تدير الراح أيدى جآذر
عتاق دنانير الوجوه ملاح(١٣)»(١٤)

كما جاء فى القرآن الكريم دون اخلال بفصاحة النسق القرآنى كقوله تعالى : « **ذكر رحمة ربك عبده زكريا** »(١٥) وقوله تعالى : « **مثل دأب قوم نوح** »(١٦) .

كما وردت الاضافات متتابعة دون اخلال فى قول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه : « الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم » .

***

● فصاحة المتكلم :

« ملكة يقتدر بها على التعبير عن مقصوده بحسب مقتضى الحال بلفظ فصيح »(١٧) .

وننتقل الآن للحديث عن البلاغة .

***

---

(١٣) الراح : الخمر ، والجآذر جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية ، والعتاق جمع عتيق وهو كريم والشاهد فى الاضافات المتتابعة : « عتاق دنانير الوجوه ملاح » .

(١٤) « دلائل الاعجاز » لعبد القاهر الجرجانى ص ٧١ ، ٧٢ .

(١٥) مريم : ٢ . (١٦) غافر : ٣١ .

(١٧) البغية ج ٢٥/١ ، والاشارات والتنبيهات ص ١٦ .

الفصـــل الثـــانى

البـــلاغة

البلاغة تقع وصفاً للكلام والمتكلم : « وتسميتنا المتكلم بأنه بليغ توسع ، وحقيقته أن كلامه بليغ الا أن كثرة الاستعمال جعلت تسمية المتكلم بأنه بليغ كالحقيقة »(١) .

● **البـــلاغـــة لغـــة :** « من قولهم : بلغت الغـــاية اذا انتهيت اليهـــا وبلغتها غيرى . ومبلغ الشىء : منتهاه . والمبالغة فى الشىء : الانتهاء الى غايته ، فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهى المعنى الى قلب السامع فيفهمه . وسميت البلغة بلغة لأنك تتبلغ بها فتنتهى بك الى ما فوقها ، وهى البلاغ يضا . والبلاغة أيضا : التبليغ فى قول الله عز وجل: «**هذا بلاغ للناس**»(٢) أى تبليغ . ويقال : بلغ الرجل بلاغه : اذا صار بليغاً »(٣) .

● **اصطلاحاً :** « كل ما تبلغ به المعنى قلب الســـامع فتمكنه فى نفسه كتمكنه فى نفسك على صورة مقبولة ، ومعرض حسن »(٤) .

* * *

---

(١) « كتاب الصناعتين » لأبى هلال العسكرى ص ١٢ .

(٢) ابراهيم : ٥٢ .

(٣، ٤) المصدر السابق ص ١٢ ، ١٦ كما ينظر نهاية الايجاز فى راية الاعجاز لفخر الدين الرازى ص ٩ وما بعدها .

بلاغة الكـلام

هو مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ٠

● **تعريف الحال ومقتضاه :**

الحال : هـو الأمر الداعى للمتكلم الى أن يعتبر مع الكلام الذى يؤدى به أصل المراد خصوصية ما ٠ هذه الخصوصية التى اعتبرها مع الكلام هى مقتضى الحال ٠

فاذا كان حال المخاطب منكراً فان الحال يقتضى تأكيد الحـكم ، وتأكيد الحكم هو مقتضى الحال ٠

فاذا قلت : « جاء زيد » والمخاطب منكر ذلك فان مقتضى الحال يتطلب ذكر مؤكداً ليكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال فتقول : « ان زيداً قد جـاء » ٠

● « ومقتضى الحال مختلف ، أى متفاوت فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومفام الاطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القصر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الايجاز يباين مقام الاطناب والمساواة ، وكذا خطاب الذكى يباين خطاب الغبى ، وكذا لكل كلمـة مع صاحبها مقام »(٥) ٠

***

(٥) البغية ج ٢٦/١ ، وتهذيب السعد ص ٤٩ ط ١٩٥٠ ٠

بلاغة المتكلم

« ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ » .

ويذكر ابو هلال العسكرى مقومات تلك الملكة فيقول : « أول آلات البلاغة جودة القريحة وطلاقة اللسان ، وذلك من فعل الله تعالى ، لا يقدر العبد على اكتسابه لنفسه واجتلابه لها ، ومن تمام آلات البلاغة ، التوسع فى معرفة العربية ، وجودة الاستعمال لها ، والعلم بفاخر الألفاظ وساقطها ، ومتخيرها ورديئها ، ومعرفة المقامات ، وما يصلح فى كل واحد منها »(٦) .



---

(٦) الصناعتين : ص ٢٦ ، ٢٧ بتصرف .

الفرق بين الفصاحة والبلاغة

يرى بعض العلمـاء المتقدمين أن الفصاحة والبـلاغة ترجعان الى معنى واحد ، وان اختلف أصلاهما ، لأن كل واحد منهما ، انما هو الابانة عن المعنى والاظهار له ٠

ومن هؤلاء أبى هلال العسكرى (ت ٣٩٥ هـ)(١) والامام عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) الذى نقل الخطيب القزوينى عنه رأيه فيقول : « فالبلاغة صفة راجعة الى اللفظ باعتبار افادته المعنى عند التركيب ، وكثيراً ما يسمى ذلك فصاحة أيضا ، وهو مراد الشيخ عبد القاهر بما يكرره فى دلائل الاعجاز ـ من أن الفصاحة صفة راجعة الى المعنى دون اللفظ ، كقوله فى أثناء فصل منه : علمت أن الفصاحة والبلاغة ، وسائر ما يجرى فى طريقهما أوصاف راجعة الى المعانى ، والى ما يدل عليه بالألفاظ دون الألفاظ أنفسها ٠ وانما قلنا مراده ذلك لأنه صرح فى مواضع من « دلائـل الاعجاز » : أن فضيلة الكلام للفظ لا لمعناه »(٢) ٠

فأبى هلال العسكرى ، والامام عبد القاهر الجرجانى يلتقيان فى أن البلاغة والفصاحة ، وان اختلف مدلولهما اللغوى ، الا أنهما يلتقيان فى الابانة عن المعنى ، واظهاره فجعلوهما فى الاصطلاح شيئا واحداً ٠ الا أن أبى هلال العسكرى عاد ليذكر رأياً آخر له اذ يقول : « ان الفصاحة والبلاغة مختلفتين ، وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهى تتعلق باللفظ ، لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة انما هى انهاء المعنى الى القلب فكأنها مقصورة على المعنى »(٣) ٠

وقـد ذكر الامام فخـر الدين الرازى (ت ٦٠٦ هـ) رأياً يتفق مع الرأى الأخير لأبى هلال العسكرى ، حيث يقول : « اعلم أن المقصود

---

(١) الصناعتين ص ١٣ ٠ (٢) البغية ص ٢٨ ، ٢٩ ٠

(٣) الصناعتين ص ١٤ ٠

من الكلام افادة المعـانى ، وهـذه الافادة على وجهين : افادة لفظية ، وافادة معنوية ، فأما الافادة اللفظية فيستحيل تطرق الكمال والنقصان اليها ، فان السامع للفظ اما أن يكون عالمـاً بكونه موضوعاً لمسماه ، أو لا يكون ٠

فالألفاظ فى دلالتها الوضعية اما أن تفيد مسمياتها بالكمال او لا تفيد شيئا منها أصلا

وأما الافادة المعنوية فلأجل أن حاصلهـا عائد الى انتقال الذهن من مفهوم اللفظ الى ما يلازمه من اللوازم »(٤) ٠

« والمسألة عندنا لا تحتاج الى احتفال ومناقشة كما فعل باحثها فى دائرة المعارف ، لأنه لا مشاحة فى الاصطلاح ، وخاصـة اذا كان لا يترتب عليه أمر ذو بال »(٥) ٠

* * *

(٤) « نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز » لفخر الدين الرازى ص ٩ وما بعدها بتصرف ٠

(٥) « خصائص التراكيب » د ٠ محمد أبو موسى ص ٣١ ٠

علـم البلاغـة

ينقسم علم البلاغة الى ثلاثة فنون أو علوم :

● **الأول :** يبحث فى أحـوال اللفظ العربى من تعريف وتنكير ، وذكر وحذف ، وتقـديم وتأخير ، وقصر ، وفصـل ووصـل ، وغيره من الموضوعات مما يتعلق بدراسة أحوال التراكيب وكيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال . ويسمى هذا « بعلم المعانى » .

● **الثانى :** « علم البيان » : علم يعرف به ايراد المعنى الواحد فى تراكيب مختلفة بعد رعاية مطابقته مقتضى الحال فى وضوح الدلالة عليه .

وقد قدم بعض البلاغيين علم المعانى على علم البيان ، لأنه بمنزلـة المفرد من المركب ، ففيه زيادة اعتبار « لأن رعاية المطابقة لمقتضى الحال وهو مرجع علم المعانى معتبرة فى علم البيان مع زيادة شىء آخر وهو ايراد المعنى الواحد فى طرق مختلفة وهو علم (ملكة) يقتدر بها على ادراكات جزئية ويجوز أن يراد به نفس الأصول والقواعد المعلومة »(١) .

● **الثالث :** « علم البديع » : « علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه مقتضى الحال ، وفصاحته »(٢) .

***

---

(١) المختصر على المطول ج ١٢٥/١ ، ١٢٦ .
(٢) بغية الايضاح ج ٣٢/١ .

الباب الثانى

علم المعانى

- أحوال الاسناد الخبرى ·
- أحوال المسند اليه ·
- أحوال المسند ·
- أحوال متعلقات الفعل ·

علم المعانى

● تعريفه :

عرفه البلاغيون بأنه : « علم يعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال » .

● أبوابه :

وقد حصر البلاغيون أبواب هذا العلم فى ثمانية :

١ ـ أحوال الاسناد الخبرى .

٢ ـ أحوال المسند اليه .

٣ ـ أحوال المسند .

٤ ـ أحوال متعلقات الفعل .

٥ ـ القصر .

٦ ـ الانشاء .

٧ ـ الفصل والوصل .

٨ ـ الايجاز والاطناب والمساواة .

وقد تعرضت فى كتابى هذا بالبحث فى أربعة موضوعات هى : أحوال الاسناد الخبرى ، أحوال المسند اليه ، أحوال المسند ، احوال متعلقات الفعل .

ويرجع الامام القزوينى وجه الحصر فى هذه الأبواب الثمانية الى أن : « الكلام اما خبر أو انشاء ، لأنه اما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه ، أو لا يكون لها خارج ، الأول : الخبر ، الثانى : الانشاء »(١) .

* * *

---

(١) بغية الايضاح ج ١/٤٧ .

تقسيم الكلام الى خبر وانشاء

هــذا ، والجملة الخبرية هى : ما تضمنت امراً يطابــق الواقع أو لا يطابقه ٠

اما ان تضمنت أمراً لا واقع له يطابقه أو يخالفــه فتلك : الجملة الانشائية ٠ مثل قولك : « حضر زيد » فهذا القول يحتمل ان يكون زيد قد حضر فعلا أو لم يحضر ٠ فالأسلوب الذى يحتمل أن يوصف بالصدق أو الكذب ، فهذا يسمى أسلوباً خبرياً ٠ الا أن هناك أساليب توصف بالصدق فحسب مثل : أخبار القرآن الكريم ، اذ لا تحتمل الا الصدق ، لأنها كــلام الله تعالى ، أما أخبار غير القرآن الكريم فتحتمل الصدق والكذب من حيث هى أخبار بغض النظر عن قائلها ٠

اما حين نتأمل قول الشاعر :

دع المكــارم لا ترحل لبغيتها   فاذهب فانك أنت الطــاعم الكاسى

فالحطيئة يهجو الزبرقان وقد شكاه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ففعل الأمر « دع » يتضمن طلباً لا يصح أن يوصف بالصدق أو الكذب لأنه لا واقع له يطابقه أو يخالفه ، ومثل هــذا يسمى أسلوبا انشائيا ٠ ومثله أساليب النداء والنهى والاستفهام والتمنى فهذه أساليب تطلب اموراً لا وجود لها وقت الطلب ٠



الفصل الأول

أحوال الاسناد الخبرى

تتكون الجملة فى اللغة العربية من ركنين أساسيين ، الأول : المحكوم عليه ، أو المسند اليه ، أو المخبر عنه ٠

والثانى : المحكوم به أو المسند ، أو المخبر به ، وتسمى النسبة بينهما : « اسناداً خبرياً » كما فى قولك : « الايمان قوة » فـ « الايمان » : هو المحكوم به ، و « قوة » : المحكوم عليه على وجه يفيد أن القوة ثابتة لمفهوم الايمان ٠

وفى قولك : « ليس المنفلوطى شاعراً » فـ « المنفلوطى » محكوم عليه او مسنداً اليه ٠

و « شاعراً » : محكوم به أو المسند ٠ فكلمة « شاعراً » مسندة الى « المنفلوطى » على وجه يفيد أن قول الشاعر منفى عنه والنسبة بينهما تسمى « اسناداً خبرياً » ٠

● تعريف الاسناد :

فالاسناد الخبرى هو : « ضم كلمة الى اخرى على وجه يفيد أن مفهوم احداهما وهو « المحكوم به » ثابت أو منفى عن مفهوم الأخرى ، وهو المحكوم عليه » ٠

والنسبة بينهما تسمى : « اسناداً » وما زاد على ذلك من الفاظ فى الجملة غير المضاف اليه والصلة تعد قيوداً فى الجملة ٠

والمسند اليه أو المحكوم عليه هو : الفاعل ، ونائب الفاعل ، والمبتدأ الذى له خبر ، وما اصله المبتدأ ٠

والمسند أو المحكوم به هو : الفعل التام ، واسم الفعل (كهيهات ، ووى ، وآمين) ، والمصدر النائب عن فعله نحو : « سعياً فى الخير »

والمبتدأ المكتفى بمرفوعه كقولك : « عارف » ، من قولك : « أعارف أخوك قدر الانصاف » ، وخبر المبتدأ ، وما أصله خبر المبتدأ والقيود ، المفاعيل ، والحال والتمييز ، والتوابع والنواسخ وأداة الشرط والنفى .

وتتضمن أحوال الاسناد الخبرى ثلاثة عناصر : أغراض الخبر ، أضربه ، والثالث : مجىء الاسناد الخبرى حقيقة أو مجازاً وهو ما يسمى بالتجوز فى النسبة أو المجاز العقلى .

وسنتعرض لكل منها بالتفصيل ان شاء الله تعالى .

* * *

١ ـ أغراض الخبر

لذكر الخبر أمران : أولهما : قصد المخبر بخبره افادة المخاطب اما نفس الحكم كقولك : « جاء الرئيس » لمن لا يعلم أن الرئيس قد جاء ، ويسمى هذا : « فائدة الخبر » .

الثانى : كون المخاطب عالما بالحكم ولكنه لا يعلم أن المتكلم يعلم ذلك الحكم ويسمى هذا : « لازم فائدة الخبر » .

وكثيراً ما يخرج الخبر عن هاتين الفائدتين الى أغراض بلاغية أخرى :

١ ـ كاظهار الخشوع والضعف : كما فى قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام : « **رب انى وهن العظم منى** »(١) .

٢ ـ وكالترغيب فى المسألة : كقوله تعالى : « **واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، اجيب دعوة الداع اذا دعان** »(٢) .

٣ ـ وكاظهار التفاوت فى درجات العلم : كقوله تعالى : « **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** »(٣) .

٤ ـ وكاظهار السرعة الشديدة مع القوة كما فى تشبيه ابى تمام :

طموح بأثناء الزمام كانما ... يخال بها من عدوها طيف جنة(٤)

٥ ـ وكالمدح فى قول المتنبى يمدح كافورا :

عدوك مذموم بكل لسان ... ولو كان من اعدائك القمران
ولله سر فى علاك وانما ... كلام العدا ضرب من الهذيان(٥)

---

(١) مريم : ٤ . (٢) البقرة : ١٨٦ .
(٣) الزمر : ٩ .
(٤) ديوان أبى تمام ص ٦٠ ، والناقة الطموح : التى ترفع يديها فى العدو .
(٥) ديوان المتنبى ج ٢٤٣/٤ .

وكقول الشريف الرضى يذم أناساً :

تركت أناســاً لم يهشـــوا لمنة ولم ينقعوا غــل الظـــاء الخوامس
على القرب فيهم اننى غير طامع ومنك على بعـــد المدى غير آيس

وغير ذلك من الأغراض البلاغية التى تتنوع تبعاً لحال المتكلم ؛ ويفهم ذلك من السياق ، وقرائن الأحوال ، ومرجع ذلك الى رهافة الحس والذوق الفنى الأدبى السـليم .

* * *

٢ ـ أضرب الخبر

يقول البلاغيون ان المخاطب اذا كان خاليا الذهن عما تلقه اليه من اخبار ، فان الأسلوب يكون خالياً من التوكيدات . فاذا قلت مثلا : « على ذهب الى المدرسة » فان المخاطب خالى الذهن تستقر هذه المعلومة فى خاطره دون حاجة الى تأكيدات .

يقول الشاعر :

اتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

ويسمى هذا الضرب من الخبر : « ابتدائيا » .

أما اذا كان المخاطب متردداً فى الخبر نفياً أو اثباتاً ، فانه يحسن تقوية الخبر بمؤكد واحد ليتمكن فى نفسه ، كقولك لضعيف الايمان : « ان الحق قوة » .

وكقوله تعالى : « **ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** »(٦) .

ويسمى هذا الضرب من الخبر : « طلبيا » .

نوع ثالث من انواع الخبر يكون فيه المخاطب منكرا للخبر يعتقد خلافه ، وحينئذ يؤتى بأكثر من مؤكد وفقا لدرجة انكار المخاطب .

فيكون بمؤكدين كما فى قوله تعالى : « **وانك لعلى خلق عظيم** »(٧) فالقول الكريم مؤكد بان واللام .

وقوله تعالى : « **واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون . اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون . قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شىء ان أنتم الا تكذبون . قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون** »(٨) .

---

(٦) القلم : ٧ . (٧) القلم : ٤ .
(٨) يس : ١٣ ـ ١٦ .

فقد اكد قوله تعالى : « **انا اليكم مرسلون** » بان واسمية الجملة .

وقوله تعالى : « **ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون** » بان واسمية الجملة والقسم ، وتقديم الجار والمجرور : « اليكم » ، على متعلقه « لمرسلون » . فهذا التقديم يفيد القصر ، فجاء الأسلوب بأكثر من مؤكد ، لأن انكارهم فى تلك الحالة اشد .

والتأكيد (٩) كما يكون فى الاثبات يكون فى النفى أيضاً .

وبذلك يكون أضرب الخبر ثلاثة : « ابتدائياً ، طلبياً ، انكارياً » .

١ ـ ابتدائى : وفيه يلقى الكلام الى المخاطب خالى الذهن خالياً من التأكيد .

٢ ـ طلبى : يكون المخاطب فيه متردداً فى الحكم حينئذ يلقى اليه الكلام بمؤكد واحد .

٣ ـ انكارى : فيه يكون المخاطب منكراً للخبر ، حينئذ يؤتى فى الأسلوب بمؤكدين أو اكثر حسب درجة الانكار قوة أو ضعفاً .

* * *

---

(٩) لتوكيد الخبر أدوات كثيرة منها : « ان وأن ، لام الابتداء ، أحرف التنبيه ، القسم ، نونا التوكيد ، التكرار ، قد ، أما الشرطية ، انما ، اسمية الجملة ، وضمير الفصل ، وتقديم الفاعل المعنوى » .

خروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر

وقد يخرج الخبر عن مقتضى الظاهر ، وذلك لأمور يضعها المتكلم فى اعتباره ، يتنوع بمقتضاها جملة الخبر :

١ ـ فقد ينزل العالم بفائدة الخبر ولازمه منزلة السائل أو المتردد ، اذا كان المخاطب غير عامل بما يعلمه ٠

كقولك لمن يؤذى أخاه : « هذا أخوك » ٠ وكقولك للمسلم العالم بفريضة الزكاة ولا يخرجها : « الزكاة فريضة » ٠ فانك تكون قد أنزلته منزلة خالى الذهن ، فاذا كان مترددا فى اخراجها لزم التأكيد بمؤكد فتقول : « ان الزكاة فريضة » فاذا كان منكراً لها تقول : « ان الزكاة لفريضة » ٠ فتأتى بأكثر من مؤكد فينزل بذلك منزلة المنكر ٠

ويرى الشيخ البنانى أن : « خلو الذهن عن تصور الحكم ليس بشرط للاستغناء عن المؤكد ، فانه اذا تصور المخاطب الحكم ، ولم يتوجه الى حاله ، ولم يلتفت الى شىء وراء تصوره كان فى حكم خالى الذهن »(١٠) ٠

وقد ورد هذا الأسلوب كثيراً فى القرآن الكريم ففى قوله تعالى : « **ثم انكم يوم القيامة تبعثون** »(١١) ٠

الناس يعلمون أنهم مبعوثون ، لكن لما كانوا فى لهو ولعب وبعد عن الآخرة ، نزلهم الله تعالى منزلة المنكرين ، فجاء القول الكريم مؤكداً بان والجملة الاسمية ٠

يقول الامام الجرجانى (ت ٧٢٩ هـ) : « لم يؤكد البعث بغير تأكيد واحد ، وان اختلف فيه بخلاف الموت ، لعدم انكار المخاطبين اياه ، أو لأن الأمر والنهى ، والوعد والوعيد بعد تأكيد الاخبار بالموت يستلزم البعث ، فاستغنى عن زيادة التأكيد ، ولذلك قال أيضا : « تبعثون » ولم يقل : « مبعوثون » لأن دلالة الفعل على حدوث المصدر ، ودلالة الاسم على ثبوته ، والثبوت أقوى من الحدوث »(١٢) ٠

---

(١٠) مختصر السعد ص ١٥٨ ٠ (١١) المؤمنون : ١٦ ٠
(١٢) الاشارات والتنبيهات ص ٣١ ٠

٢ ــ وقد ينزل غير السائل منزلة السائل ، كقوله تعالى : ((**يا أيها الناس اتقوا ربكم ، ان زلزلة الساعة شىء عظيم**))(١٣) • فالتنبيه فى قوله تعالى : ((**يا أيها الناس**)) ثم الأمر بالتقوى تحذير للناس مما قد يصيبهم اذا ما خالفوا الله تعالى ، ولم يخشوه ، فوجد فى المقام ما يلوح بالخبر فكأن هناك سؤالا ضمنياً يتساءله الناس ، فجاء القرآن الكريم بعد ذلك متضمنا الاجابة على هذا التساؤل الذى دار فى انفسهم بقوله تعالى : ((**ان زلزلة الساعة شىء عظيم**)) •

فالمخاطب منزل منزلة السائل لوجود ما يلوح له بنوع الخبر •

ومن ذلك ايضا قوله تعالى : ((**وصل عليهم، أن صلاتك سكن لهم**))(١٤) فالله سبحانه وتعالى ينزل الرسول ﷺ منزلة السائل لذا جاء القول مؤكداً بان •

وكذلك قوله تعالى : ((**ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ، انهم مغرقون**))(١٥) • والمعنى : ((أى لا تدعنى يانوح فى شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك فهذا كلام يلوح بالخبر تلويحاً ما ، ويشعر بأنه قد حق عليهم العذاب فصار المقام مقام ان يتردد المخاطب فى انهم هل صاروا محكوماً عليهم بالاغراق أم لا ؟ فقيل : ((**انهم مغرقون**)) مؤكداً بان واسمية الجملة))(١٦) • فصدر الآية كما ترى تلويحاً بنهايتها ، كما جاءت الاشارة ايضا الى خصوص الخبر فى سياق الآية فى قوله تعالى : ((**اصنع الفلك**)) •

ومن هذا النمط ايضا ما ذكره الكثير من البلاغيين قول الشاعر(١٧) :

فغنها وهى لك الفداء ان غناء الابل الحداء

---

(١٣) الحج : ١ • (١٤) التوبة : ١٠٣ •

(١٥) المؤمنون : ٢٧ : ((**فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ، ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ، انهم مغرقون**)) •

(١٦) مختصر السعد على تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى ص ١٦٤ ، ١٦٥ بتصرف ط سنة ١٣٤٧ هـ •

(١٧) لا يعلم قائله ، والضمير فى قوله ((فغنها)) للابل أى فغن لها • والحداء ــ بضم الحاء وكسرها ــ مصدر حدا ، وذلك اذا ساقها وغنى لها •

فالشاعر جعل المخاطب فى مقام المتردد لنوع غناء الابل ، فجاء القول مؤكداً بقوله : « ان غناء الابل الحداء » .

ومثله قول أبى نواس :

عليك باليأس من الناس ان غنى نفسك فى اليأس

٣ ـ ينزل غير المنكر منزلة المنكر : اذا ظهر عليه شىء من أمارات الانكار ، كقول الشاعر(١٨) :

جاء شقيق عارضاً رمحه ان بنى عمك فيهم رماح

فشقيق يعلم ان بنى عمه فيهم رماحاً لكن مجيئه هكذا مدلا بشجاعته وقد وضع رمحه عرضاً دليل على اعجاب شديد منه ، معتقداً أنه لا يقوم اليه أحد من بنى عمه كأنهم عزل ، ليس فيهم من يستطيع رده ولذا نزله الشاعر منزلة المنكر ، وقد جاء الأسلوب بطريق « الالتفات »(١٩) من الخطاب الى الغيبة على ما ذهب اليه السكاكى مؤكداً بان واسمية الجملة فى قوله : « ان بنى عمك فيهم رماح » .

٤ ـ تنزيل المنكر منزلة غير المنكر اذا كان معه ما ان تأمله ارتدع عن الانكار ، كقوله تعالى فى القرآن الكريم : « **لا ريب فيه** »(٢٠) ، وكقوله تعالى : « **والهكم اله واحد** »(٢١) ، وقوله تعالى : « **وأن الساعة آتية لا ريب فيها** »(٢٢) .

يقول الخطيب القزوينى : « ومما يتنوع على هذين الاعتبارين : (تنزيل غير المنكر منزلة المنكر ، وتنزيل المنكر منزلة غير المنكر) قوله تعالى : « **ثم انكم بعد ذلك لميتون . ثم انكم يوم القيامة تبعثون**»(٢٣) أكد اثبات الموت تأكيدين ، وان كان مما لا ينكر ، لتنزيل المخاطبين منزلة من يبالغ فى انكار الموت لتماديهم فى الغفلة والاعراض عن العمل

(١٨) الشاعر هو : حجل بن نضلة الباهلى .
(١٩) مختصر السعد ص ١٦٧ وما بعدها .
(٢٠) البقرة : ٢ .
(٢١) البقرة : ١٦٣ .
(٢٢) الحج : ٧ .
(٢٣) المؤمنون : ١٥ ، ١٦ .

لما بعده ، ولهذا قيل : « ميتون » دون « تموتون » ، وأكد اثبات البعث تأكيداً واحداً ، وان كان مما ينكر ، لأنه لما كانت أدلته ظاهرة كان جديراً بألا ينكر . بل اما ان يعترف به أو يتردد فيه ، فنزل المخاطبون منزلة المترددين تنبيهاً لهم على ظهور أدلته وحثاً على النظر فيها ، ولهذا جاء « تبعثون » على الأصل »(٢٤) .

هذا ، ويعد ما ذكر فى خروج الخبر عن مقتضى الظاهر فى حالة الاثبات يقاس عليه ، اعتبارات النفى . كقولك : ما زيد منطلقاً او بمنطلق ، ووالله ليس زيد منطلقاً أو بمنطلق ، وما ينطلق زيد ، أو ما ان ينطلق زيد ، وما كان زيد ينطلق ، وما كان زيد لينطلق ، ولا ينطلق زيد ، ولن ينطلق زيد ، ووالله ما ينطلق أو ما ان ينطلق زيد .



---

(٢٤) البغية ج ١/٥٠ ، ٥١ .

٣ ـ الحقيقة والمجـــاز العقليان

تعرضنا فى الموضوعات السابقة للحديث عن أغراض الخبر ثم أضربه وسنتحدث الآن بمشيئة الله تعالى عن القسم الثالث من أحوال الاسناد الخبرى وهو : الحقيقة والمجاز العقليين .

وقد انكر بعض البلاغيين كون المجاز العقلى من موضوعات علم المعـانى ، ويذكر عندهم فى علم البيان كما نجد عند الامام السكاكى (ت ٦٢٦ هـ) . بينما يذكره البعض الآخر فى علم المعانى باعتبـاره انه حال من احوال الاسناد الخبرى أو النسبة الخبرية كما نجد ذلك عند الامام القزوينى (ت ٧٤٩ هـ) ومن بعده سعد الدين التفتازاني (ت٧٩٢هـ) وغيرهما .

١ ـ **تعريف الحقيقة :** الكلمة المستعملة فيما هى موضوعة له من غير تأويل ، فلفظ « الأسد » موضوع له على سبيل الحقيقة دون تأويـل .

والحقيقة تنقسم عند العلماء الى : لغوية ، شرعية ، عرفيـــية .

فهى لغوية اذا كان صاحب وضعها واضع اللغة .

وشرعية اذا كان صاحب وضعها الشارع .

وعرفية اذا كانت جارية على سبيل عرف جرت به العادة .

٢ ـ **تعريف المجاز اللغوى :** الكلمة المستعملة فى غير ما هو له فى الحقيقة . وسمى المجاز مجازاً لجهة التناسب لأن المجاز مفعل من جاز المكان يجوز .

والمجاز عند البلاغيين قسمان ، لغوى : ويقع فى المفردات ، وعقلى يقع فى الاسناد ،وسمى الاسناد فى هذين القسمين عقلياً لاستناده الى العقل دون الوضع ، لأن استناد الكلمة الى الكلمة شىء يحصل بقصد المتكلم دون واضع اللغـة .

أما المجاز اللغوى فميدانه الاستعارة والمجاز المرسل ، ويبحثان فى علم البيان .

أما المجاز فى الاسناد أو المجاز العقلى فيبحث ضمن فنون علم المعانى .

والاسناد منه حقيقة عقلية ، ومنه مجاز عقلى .

والحقيقة العقلية كما يراها صاحب المختصر : « اسناد الفعل أو معناه (كالمصدر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل ، والظرف) الى شىء يكون الفعل أو معناه له » .

وذلك كقوله تعالى : « **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم** » (٢٥) . ففى القول الكريم أسند الفعل « خلق » ، و « انزل » ، و « أخرج » الى الفاعل الحقيقى وهو الله سبحانه وتعالى على سبيل الحقيقة .

وكذلك قوله تعالى : « **قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، انك على كل شىء قدير . تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل ، وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى ، وترزق من تشاء بغير حساب** »(٢٦) .

فاسم الفاعل : « مالك » ، والأفعال : « تؤتى ، وتنزع ، وتعز ، وتذل ، وتخرج ، وترزق » كلها أفعال مسندة الى الفاعل الحقيقى وهو الله سبحانه وتعالى . فهذا حقيقة عقلية . وقد أضاف الخطيب القزوينى على التعريف السابق قوله : « فى الظاهر »(٢٧) وذلك ليشمل ما لا يطابق اعتقاده ، مما يطابق الواقع ، وما لا يطابقه .

* * *

---

(٢٥) البقرة : ٢١ ، ٢٢ . (٢٦) آل عمران : ٢٦ ، ٢٧ .
(٢٧) البغية ج ٥٥/١ وما بعدها

● **صور الحقيقة العقلية عند الخطيب القزوينى :**

١ ــ ما يطابق الواقع واعتقاده ، كقول المؤمن : أنبت الله البقل ، وشفى الله المريض ٠

٢ ــ ما يطابق الواقع دون اعتقاده كقول المعتزلى لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها : خالق الأفعال كلها هو الله تعالى ٠

٣ ــ ما يطابق اعتقاده دون الواقع ، كقول الجاهل : شفى الطبيب المريض ، معتقداً أن الطبيب هو الذى يشفى ٠ وكقول الله تعالى حكاية عن بعض الكفار « **وما يهلكنا الا الدهر** »(٢٨) ٠ فهم يعتقدون ان مهلكهم هو الدهر حقيقة ٠

٤ ــ ما لا يطابق شيئا منهما ، كالأقوال الكاذبة التى يكون القائل عالماً بحالها دون المخاطب ومرد ذلك كله الى الواقع وحده ٠ كما سبق فى أحوال الاسناد الخبرى ٠

***

● **تعريف المجاز العقلى :**

هو « اسناد الفعل أو ما فى معناه الى ملابس له غير ما هو له بتأول » ٠

سبق أن ذكرنا أن معنى الفعل : كاسم الفاعل ، أو اسم المفعول أو المصدر ٠٠ الخ ٠

قوله : « الى ملابس له » أى تكون هناك علاقة أو رابطة أو صلة بين الفعل وفاعله المجازى ٠ وتلك الملابسة من جهة وقوعه فيه أو عليه أو به أو نحو ذلك ٠

فالفعل يلابس الفاعل ، والمفعول به ، والمصدر ، والزمان ، والمكان ، والسبب ٠٠٠

قوله : « الى غير ما هو له » أى اسناد الفعل الى غير فاعله الحقيقى ٠

---

(٢٨) الجاثية : ٢٤ ٠

« بتأول » اى بوجود قرينة تشير الى المعنى المجازى وتمنع من ارادة المعنى الحقيقى .

ويذكر الخطيب القزوينى ان قولنا : « بتأول » يخرج نحو قول الجاهل : « شفى الطبيب المريض » فان اسناده الشفاء الى الطبيب ليس بتأول ، ولذا لم يحمل نحو قول الشاعر الحماسى :

اشاب الصغير وافنى الكبير   كر الغداة ومر العشى

على المجاز ما لم يعلم او يظن ان قائله لم يرد ظاهره .

* * *

قرينة المجاز العقلى

التأول عند الخطيب القزوينى : هو القرينة

وتنقسم القرينة قسمان : قرينة لفظية ، ومعنوية ٠

١ ـ **القرينة اللفظية :** التى يذكر بلفظها فى الكلام فيصرف الاسناد عن ظاهره ٠ وتشير بذلك الى المعنى المجازى ٠ وذلك كقول ابى النجم العجلى :

قد أصبحت أم الخيار تدعى   على ذنبا كله لم اصنع

من ان رأت راسى كراس الأصلع   ميز عنه قنزعا عن قنزع

جذب الليالى ابطئى أو أسرعى

أفناه قيل الله للشمس اطلعى   حتى اذا واراك أفق فارجعى

يقول الشاعر : ان زوجته أم الخيار تدعى عليه ذنبا لم يكن له ذنب فيه وهو أن شعره قد ظهر به الشيب ، ثم يذكر الشاعر السبب فى ذلك ، وهو توالى الأيام ، ومر الليالى ٠ فالاسناد فى قوله : « ميز » الى « جذب الليالى » مجازاً عقلياً حيث أسند الفعل الى الزمن او السبب ، والقرينة التى تشير الى أن هذا الاسناد على سبيل المجاز وليس الحقيقة قوله : « قيل الله » ٠ ومثله قول الصلتان العبدى :

أشاب الصغير وأفنى الكبير   كر الغداة ومر العشى

نروح ونغدو لحاجاتنا   وحاجة من عاش لا تنقضى

تموت مع المرء حاجاته   وتبقى له حاجة ما بقى

الم تر لقمان أوصى ابنه   واوصيت عمراً ، ونعم الوصى

فملتنا اننا مسلمون   على دين صديقنا والنبى

فالشاعر قد أسند الفعلين : « أشاب » ، و « أفنى » الى « كر الغداة » ، و « مر العشى » وهما السبب أو الزمن ٠ وهذا من الاسناد المجازى

العقلى ، الذى يشـير الى ذلك القرينـة وهى قوله : « اننا مسلمون » ٠
فجاء قوله هـذا على سبيل المجاز العقلى وعلاقته الزمنية أو السببية ٠

٢ ـ القرينة المعنوية : وهى التى تصرف الاسناد عن ظاهره ، ويستدل عليها من استحالة صدور الفعل من فاعله الحقيقي أو قيامه به عقلا أو عادة ٠

فمما يستحيل صدوره عقلا قولك : محبتك جاءت بى اليك ٠ **فمن** الواضح استحالة قيام المجىء بالمحبة ، ومجيئها عادة كقولك : بنى الرئيس المدينة ، وكسا الأمير الكعبة ٠ ومن أنواع القرينة العقلية : صدور الكلام من الموحد كقول الرسول ﷺ : «ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم» حبطاً : أى انتفاخاً ، فاسناد فعل الانبات الى الربيع اسناداً مجازياً ، لأن المتحدث الرسول ﷺ ، وهو يعتقد يقيناً ان الذى ينبت هو الله سبحانه وتعالى ٠



اقسام المجاز العقلى باعتبار طرفيه

يقسم المجار العقلى باعتبار طرفى الاسناد اربعة اقسام :

١ ـ اما حقيقتان لغويتان كقولك : « أنبت الربيع البقل » .

وكقول الشاعر :

لقد لمتنى يا ام غيلان فى السرى ونمت وما ليل المطى بنائم(٢٩)

والشاهد فى قوله : « وما ليل المطى بنائم » ـ حيث استعمل كل من الطرفين فى حقيقته .

وقــوله :

اشاب الصــغير وافنى الكبير كر الغــــــداة ومـــر العشى

ففى اسناد الفعل « اشاب » ، و « افنى » الى « كــر الغـــداة » ، و « مر العشى » كل من المسند اليه والمسند مستعملان فيها وضع له لكن التجوز فى الاسناد ، لأن الذى يشيب الصغير ويفنى الكبير ليس هــو توالى الأيام والليــالى ، ذلك لأن المتحدث مسلم ، ولا يعتقد ذلك على سبيل الحقيقة لأنه يعتقد ويعلم يقيناً ان الله سبحانه وتعالى هو الفاعل الحقيقى يقول للشىء كن فيكون .

ومثله قول الفرزدق :

يحمى اذا اخترط السيوف نساءنا ضرب تطير له الســـواعد أرعلا

اى أنه فى حالة الحرب والنزال الشديد ، يحمى نساءهم ضرب قوى سريع من فرسانهم تطير له السواعد . فالطرفان : « يحمى » ، و « ضرب » مستعملان فى معنييهما الحقيقيان .

---

(٢٩) السرى : السير ليلا ، والمعنى : انه لا يقطع السير بالليــل ولا ينام .

٢ ـ الطرفان مجازيان : مثل قولك : « أحيا الأرض شباب الزمان » . « أحيا » أى أنبت ، و « شباب الزمان » مستعار لوقت الربيع . فلما كان الربيع هو الزمن الذى يعاد فيه شباب الأرض ونضارتها ، لذا جاز أن يسند الفعل « أحيا » الى « شباب الزمان » ، على سبيل المجاز العقلى علاقته الزمانية .

٣ ـ واما مختلفان بأن يكون المسند حقيقة لغوية ، والمسند اليه مجازاً لغوياً كقولك : « أنبت البقل شباب الزمان » فالمسند اليه « شباب الزمان » مجازاً لغوياً ، و « أنبت » لفظ مستعمل فى معناه الأصلى . والعلاقة السببية .

٤ ـ واما المسند مجازاً لغوياً ، والمسند اليه حقيقة :

كقول المتنبى :

وتحيى له المال الصوارم والقنا ويقتل ما تحيى التبسم والجدا

فالشاعر يصف ممدوحه بانه يمكنه الحصول على المال بالصوارم والرماح ، وانه لا يبخل على من يرجوه منه . فالمسند : « تحيى » ، و « يقتل » حقيقتان لغويتان .

والمسند اليه : « الصوارم » ، و « القنا » ، و « التبسم » ، و «الجدا» كلاهما مستعمل فيما وضعا له ، والمجاز فى اسناد الاحياء الى « القنا » ، والقتل الى « التبسم » و « الجدا » والمجاز عقلى علاقته السببية .

* * *

علاقات المجاز العقلى

١ ـ الفاعليـــة :

وتتحقق باسـناد المبنى للمفعول الى الفـاعل ٠ كقوله تعـالى : **« جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب ، انه كان وعده مأتيا »**(٣٠) فالأصل فى القول الكريم : « وعدا مأتيا صاحبه » ، لأن الوعد لا يأتى ، وانما يأتى صاحبه ٠

وكذا قوله تعالى : « **واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخـرة حجابا مستوراً** »(٣١) واصـل القول الكـريم : « حجاباً ساتراً » أو « مستوراً صاحبه به » ومن ذلك أيضا : « سيل مفعم » بفتح العين ، فالسيل هو الذى يملأ المكان فيكون المكان هو الذى يفعم ، لكن جاء القول : « سيل مفعم » على سبيل المجاز علاقته الفاعلية ٠

٢ ـ المفعـولية :

وتتحقق بأن يسند الفعل المبنى الى الفاعل أو ما فى معنى الفعل المبنى للفاعل الى المفعول به ، كقوله تعالى : « **فأما من ثقلت موازينه ٠ فهو فى عيشـة راضية** »(٣٢) ٠ فالعيشـة فى الحقيقة تكون مرضية ، وليست راضية ، وانما الراضى صاحبها ٠

فالله سبحانه وتعالى أسند « الرضا » الى ضمير العيشة على سبيل المجاز العقلى ، ليفيد أنه ليس فقط الانسان الذى رضى وانما أيضا العيشة ذاتها ، فالمبالغة أفادت معنى الرضا التام ٠

ومثله قوله تعـالى : « **خلق من ماء دافق** »(٣٣) فمعنى الفعـل : « دافق » اسم فاعل ٠

أسند الى ضمير المفعول « المـاء » لعلاقة المفعولية ، لأن المـاء يكون مدفوقاً وليس دافقاً ٠

---

(٣٠) مريم : ٦١ ٠
(٣١) الاسراء : ٤٥ ٠
(٣٢) القارعة : ٦ ، ٧ ٠
(٣٣) الطارق : ٦ ٠

ومثل ذلك قول الحطيئة :

دع المكـــارم لا ترحـل لبغيتهـا   واقعد فانـك أنت الطـاعم الكاسى

فالشاعر يهجو الزبرقان بن بدر ، ويقول له : انك لست أهلا لمعالى الأمور ، فاقعد فى دارك دون سعى • فقد أسند الشاعر : اسما الفاعـل : الطاعم ، والكاسى ، وفيهما معنى الفعل الى ضمير المفعول به ، وهـو الزبرقان ، وحقيقة الكلام : « فاقعد فانك انت المطعوم المكسو » لأنه ليس أهلا لطلب السعى ، لكنه عدل عن ذلك وعبر باسم الفاعل لعلاقة المفعولية •

٣ ـ الزمانيـة :

وتتحقق بأن يسند الفعل أو ما فى معناه الى الزمان •

كقـوله تعـالى : « **فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعـل الولدان شـيبا** »(٣٤) •

أسند الفعـل « يجعـل » الى ضمير اليـوم ، والـذى سـوغ ذلك وقوع الفعل فى هـذا الزمن •

وقول الشـاعر :

هى الأيام كما شاهدتها دول   من سره زمن ســـاءته أزمـــان

وهـذه الدار لا تبقى على أحد   ولا يدوم على حـال لهـــا شـان

يمزق الدهر حتما كل سابغة   واذا نبت مشرفيات وخرصان

أسند الفعل «سره » ، و « ساءه » الى « الزمن » وليس الزمن فى الحقيقة الذى يسر أو يسوء ، وانما الفاعل الحقيقى هو الله سبحانه وتعـالى الا أنه عدل عن اسـناد الفعل الى فاعله الحقيقى الى الفاعل المجازى على سبيل المجاز وعلاقته الزمانية فأفاد المبالغة •

يقول صاحب المطول : « نسب الفعل الى الزمان وهو لله تعـالى

---

(٣٤) المزمل : ١٧ •

حقيقة ، وهـذا كناية عن شدته ، وكثرة الهموم والأحزان فيه ، لأن الشيب مما يتسارع عند تفاقم الشدائد والمحن أو عن طوله ، وأن الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة »(٣٥) ٠

وكما تقع هـذه الملابسات فى الاثبات فانها تقع فى النفى أيضا من ذلك قول جرير :

لقـد لمتنا يا أم غيـلان فى السرى ونمت وما ليـل المطى بنـائم

فقد أسند اسـم الفاعل « نائم » الى ضمير « الليل » وهو مجاز عقلى علاقته الزمانية ذلك لأن الليل لا ينام ، وانما ينام الناس فيه ، فهو منوم فيه

٤ ـ المـكانية :

وتتحقق بأن يسند الفعل أو ما فى معناه الى مكانه ٠ كقوله تعالى : « **أو لم نمكن لهم حرماً آمناً** »(٣٦) ٠ حيث أسند « الأمن » الى « الحرم » على سبيل المجاز العقلى علاقته المكانية لأن الحرم آمن أهله فيه ، وليس المكان الآمن ، فالاسناد المجـازى أفاد المبالغة ٠

وكقوله تعالى : « **وأخرجت الأرض أثقالها** »(٣٧) فقد أسند الاخراج الى الأرض على سبيل المجاز ، والفاعل الحقيقى هو الله سبحانه وتعالى ، لكن أمكن اسناد الاخراج الى الأرض ، لأنه المكان الذى يخرج منه الموتى ٠

ومثله قولك : « نهر جار » ، و « طريق سائر » أسند « جار » و « سائر » وهما اسما فاعل أى فى معنى الفعل ، فأسند الى المكان ـ « النهر » ، « الطريق » وهـذا من قبيل المجاز العقلى ، وعلاقته المكانية ذلك لأن النهر ، والطريق لا يجرى ولا يسير ، وانما الذى يجرى فيه المـاء ، والذى سوغ ذلك هو علاقة المكانية ٠

---

(٣٥) المختصر ج ١٨٩/١ ٠ (٣٦) القصص : ٥٧ ٠

(٣٧) الزلزلة : ٢ ٠

٥ ـ السببية :

وتتحقق بأن يسند الفعل أو ما فى معناه الى سببه ٠

كقوله تعالى : « **واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا** »(٣٨) فتلاوة الآيات الكريمة ، ليست السبب الحقيقى للايمان ، وانما سبب فى زيادته ، لذا امكن ان يسند الفعل « زادتهم » الى « الآيات » على سبيل المجاز العقلى علاقته السببية ٠

يقول الخطيب القزوينى : « نسبت الزيادة التى هى فعل الله الى الآيات لكونها سببا فيه »(٣٩) ٠

ومثله قوله تعالى : « **وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين** »(٤٠) ٠ فالذكرى سبب فى نفع المؤمنين ٠

وكقوله تعالى : « **ان فرعون علا فى الأرض وجعل اهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم** »(٤١) فقد أسند ضمير الفعل «يذبح» الى « فرعون » ، وليس فرعون الفاعل الحقيقى ، وانما هو يأمر أعوانه وجنده ، وجاء الاسناد على سبيل المجاز العقلى ، وعلاقته السببية ٠

يقول الخطيب القزوينى : « الفاعل غيره ، ونسب الفعل اليه لكونه الآمر به »(٤٢) ٠

ومثله قول المتنبى :

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبى ويهرم

يريد أن يقول : ان الحزن والهم ، يجعل الجسم نحيفاً ، ويشيب رأس الصبى ويصيبه بالهرم ٠ فأسند الشاعر الفعل « يخترم » ،

---

(٣٨) الأنفال : ٢ ٠
(٣٩) بغية الايضاح ج ٦٥/١
(٤٠) الذاريات : ٥٥ ٠
(٤١) القصص : ٤ ٠
(٤٢) بغية الايضاح ج ٦٥/١ ٠

و « يشيب » الى ضمير «الهم» على سبيل المجاز العقلى ، وعلاقته السببية ، لأن الهم والحزن ليس الفاعل الحقيقى ، وانما سبب فيه ، والفاعل الحقيقى هو الله سبحانه وتعالى .

٦ ـ المصدرية :

وتتحقق باسناد الفعل أو ما فى معناه الى المصدر . **كقولك :** « جد جده ، وشعر شعره » ، حيث أسند الفعل ليس الى فاعله الحقيقى ، وانما الى مصدره .

وكقول ابى فراس الحمدانى :

سيذكرنى قومى اذا جد جدهم   وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

فأسند الفعل « جد » الى المصدر « جدهم » بينما الفاعل الحقيقى « هم » فاعلوا الجد .



المجاز العقلى فى النسب الانشائية والمنفية

فالمجاز العقلى كما يرد فى الاثبات يجىء فى النفى ايضا ، كقوله تعالى : « **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم** »(٤٣) ٠ حيث أسند الفعل « ربح » الى « التجارة » على سبيل المجاز العقلى فى صيغة النفى ٠

وكما يجرى المجاز العقلى فى الخبر يجرى فى الانشاء ٠ كقوله تعالى : « **ياهامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب** »(٤٤) ففى اسناد الفعل « ابن » الى « هامان » على سبيل المجاز العقلى وعلاقته السببية قد وقع فى صيغة الانشاء ، ذلك لأن الفعل « ابن » فعل امر طلبى انشائى ٠

ومثله قوله تعالى : « **قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا** »(٤٥) فالفعل « تأمرك » مسند الى السبب وهو ضمير الصلاة على سبيل المجاز العقلى وعلاقته السببية ، والجملة من النوع الانشائى لكون الأسلوب فى صيغة استفهام ٠



---

(٤٣) البقرة : ١٦

(٤٤) غافر : ٣٦ ٠

(٤٥) هود : ٨٧ ٠

المجاز العقلى فى النسب الاضافية والايقاعية

وكما ياتى المجاز العقلى فى الجملة الاسمية ، كذلك ياتى فيما بين المضاف والمضاف اليه ، اى فى النسبة الاضافية . وذلك كقوله تعالى : « **وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من أهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما** »(٤٦) .

وقوله تعالى : « **بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا** »(٤٧) ففى القول الكريم الأول : أضيف « الشقاق » الى « البين » وهو ظرف على سبيل المجاز العقلى علاقته الزمانية ، فأضيف المصدر الى غير ما حقه ان يضاف اليه .

وفى القول الثانى : نجد المصدر « مكر » قد أضيف الى غير ما حقه أن يضاف اليه وهو « الليل » ، و « النهار » وهذا زمان . وجاز الاسناد على سبيل المجاز علاقته الزمانية ، وكان الأصل ان يقال : مكر الناس فى الليل والنهار ، ولكن عدل الله سبحانه وتعالى عن ذلك ليفيد المبالغة الشديدة فى استمرارهم فى مكرهم وعنادهم وكفرهم .

* * *

● **وفى النسبة الايقاعية :**

يكون التجوز فى ايقاع الفعل على غير ما حقه ان يوقع عليه . فالفعل المتعدى واقع على مفعوله المجازى أى ينصب غير مفعوله الحقيقى لعلاقة مع قرينة مانعة من ايقاع الفعل على مفعوله الحقيقى ، ولذلك سميت نسبة ايقاعية . كقوله تعالى : « **ولا تطيعوا أمر المسرفين** »(٤٨) **فالأصل فى القول** : « ولا تطيعوا المسرفين فى أمرهم » فأسند الفعل : « تطيعوا » الى السبب « الأمر » ، وحقيقته ان تقول : « لا تطيعوا الناس فى أمرهم » ، لكن جاء الاسناد الى السبب على سبيل المجاز العقلى علاقته السببية .

---

(٤٦) النساء : ٣٥ .   (٤٧) سبأ : ٣٣ .
(٤٨) الشعراء : ١٥١ .

وسنتعرض بمشيئة الله تعالى : لأحوال المسند اليه أولا ثم المسند ، لأنه الركن الأساسى فى الجملة ، ولأنه كما يقول العلامة البنانى : « عبارة عن الذات ، والمسند كالوصف له ، والذات أقوى فى الثبوت من الوصف ، ولأن الدال منهما على الذات اشد فى الحاجة عند قصد الافادة من الدال على الوصف ، لأن الحاجة الى المضاف اليه المعروض اشد من الحاجة الى المضاف العارض »(٤٩) .

* * *

(٤٩) مختصر السعد ج ٢٠٠/١ ، ٢٠١ .

الفصل الثانى

احوال المسند اليه

ذكرت ان المسند اليه هو الركن الأول فى تكوين الجملة ويسمى المحكوم عليه ، فهو المبتدأ أو الفاعل ونائبه ، أو اسم كان ، أو اسم انّ ، أو المفعول الأول من باب ظن وأخواتها . والمسند اليه الأصل فيه أن يذكر فى الجملة ، فاذا ما عمد المتكلم الى حذفه أو تقديمه فى موضع ، أو تأخيره ، أو تعريفه ، أو تنكيره ، فانه يفعل ذلك للتعبير عن شىء ما فى نفسه يريد للمخاطب ان يصل اليه . وتلك الأحوال يسميها البلاغيون أحوال المسند اليه والتى سنتعرض لمعالجتها الآن بمشيئة الله تعالى .

١ ــ أحوال حذف المسند اليه

تعرض البلاغيون لمواضع حذف المسند اليه قبل التعرض لمواضع ذكره لأن حذفه معناه عدم ذكره ، والعدم متقدم على الوجود . ويشترط البلاغيون لمواضع الحذف أن يكون هناك قرينة دالة على وجوده ، فيكون السامع عارفاً به ، وكذلك لابد من وجود مرجح لحذفه عن ذكره . فيعد من العبث ذكر المسند اليه مع وجود قرينة تدل عليه ، لذا يحذف للاحتراز عن العبث ، وهذا ليس من قبيل الحقيقة لكنه بناء على الظاهر فقط . لأن المسند اليه الركن الأصلى فى الجملة .

يقول السعد التفتازانى : « على ان المسند اليه هو الركن الأعظم الشديد الحاجة اليه ، حتى انه اذا لم يذكر فكأنه اتى به ثم حذف »(١) .

فمن المواضع التى يحذف فيها المسند اليه :

١ ــ للاحتراز عن العبث بناء على الظاهر لدلالة القرينة كقول الشاعر(٢) :

---

(١) مختصر السعد ج ٢٠٠/١ وما بعدها .

(٢) هو : أبو حزابة الوليد بن حنيفة التميمى شاعر اموى تحضر وسكن البصرة (ت ٨٣ هـ) . وابن ناشرة هو : عبد الله . والحنظلى نسبة الى حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم .

الا لا فتى بعـد ابن ناشرة الفتى ولا عـرف الا قد تولـى وادبرا
فتى حنظلى ما تزال ركابه تجـود بمعروف وتنكر منكرا

اى : هو فتى ٠

وكقول الشـاعر(٣) :

سأشكر عمراً ان تراخت منيتى أيادى لم تمنن وان هـى جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
رأى خلتى من حيث يخفى مكانها فكانت قذى فى عينيه حتى تجلت

والأصل أن يقول : هو فتى ٠

٢ ـ قد يكون الحذف أيضا لتخييل العدول الى أقوى الدليلين من العقـل واللفظ ٠

فعند ذكره يعتمد على دلالة اللفظ من حيث الظاهر ، وعند الحذف يعتمد على دلالة العقل ، وهو أقوى لافتقار اللفظ اليه ٠ ولأن العقـل يمكنّ أن يدرك به بدون توسط لفظ ٠

وذلك كقول الشـاعر :

قـال لـى كيـف أنت قلت عليل ، سـهر دائم وحزن طويل

لم يقل : انا عليل ٠ للاحتراز والتخييل السابقين ٠ فذكر الضمير « أنت » يغنى عن ذكر المسند اليه « أنا » فذكره يعد عبثاً ، اعتماداً على ما يفهم من الدلالة العقلية ٠

٣ ـ يحذف المسند اليه تحقيرا له ولا يهام صون اللسان عن ذكره ٠

نحو قول الأقيشر :

سريع الى ابن العم يلطم وجهـه وليس الى داعى النـدى بسريع
حريص على الدنيـا مضيع لدينـه وليس لمـا فى بيتـه بمضيع

---

(٣) هو : عبد الله بن الزبير (بفتح الزاى) ٠ الأسدى ٠ والأبيات قالها فى رثاء عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنهما ٠

والتقدير : « هو سريع » ، و «هو حريص » فحذف المسند اليه تحقيراً له ٠ فقد كان الشاعر قد ذهب لابن عم له موسر ، فلما سأله فمنعه وقال له : كم أعطيك مالى ، وأنت تنفقه فيما لا يعنيك ، والله لا أعطيك ٠ فتركه حتى اجتمع القوم فى ناديهم وهو فيهم ، فشكاه الى القوم ، وذمه ، فوثب اليه ابن العم ، فلطمه ، فأنشأ يقول هذه الأبيات ٠

يقول الامام عبد القاهر : « فتأمل هذه الأبيات كلها ، واستقرها واحداً ، واحداً ، وانظر الى موقعها فى نفسك ، والى ما تجد من اللطف ، والظرف ، اذا أنت مررت بموضع الحذف منها ، ثم قلبت النفس عما تجد ، والطفت النظر فيما تحس به ، ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر ، وأن تخرجه الى لفظك ، وتوقعه فى سمعك ، فانك تعلم أن الذى قلت ، كما قلت ، وأن رب حذف هو قلادة الجيد ، وقاعدة التجويد »(٤) ٠

٤ ـ كما يحذف المسند اليه لتعظيمه : كقولك : « نعم الصديق » تقصد أبى بكر رضى الله عنه ٠

وكقوله تعالى : « **وما أدراك ماهيه ٠ نار حامية** »(٥) ٠ أى : هى نار ٠

وكقوله تعالى : « **صم بكم عمى فهم لا يرجعون** »(٦) أى هم الكافرون فلم يذكر المسند اليه ، صوناً للسان عن ذكر أسمائهم ٠

٥ ـ كما يحذف لأن الخبر لا يصلح الا له حقيقة : كقوله تعالى : « **عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال** »(٧) يقصد الله سبحانه وتعالى ٠

أو ادعاء : كقولك : «الصديق الصدوق» تقصد أبى بكر الصديق ، فكأن الصدق قد بلغ به مبلغاً عظيما ، وكقولك : « أمير الشعراء » ٠ تقصد الشاعر أحمد شوقى ، فكأنه ملك زمام الشعر حتى صار فيه أميرا لشعراء عصره ٠

٦ ـ أو لأن الاستعمال وارد على تركه ، أو ترك نظائره ٠ كقولك : « نعم الرجل زيد » على رأى من يرى الكلام : « نعم الرجل هو زيد » ٠

---

(٤) دلائل الاعجاز ص ٩٩ ٠ (٥) القارعة : ١٠ ، ١١ ٠
(٦) البقرة : ١٨ ٠ (٧) الرعد : ٩ ٠

وكالمثل القائل : « شنشنة أعرفها من أخزم » • الشنشنة : الطبيعة والعادة • والأخزم ابن قائل المثل • وكان عاقاً لأبيه ، فلما توفى ، جاء أبناؤه فتواثبوا على جدهم حتى أدموه فقال :

ان بنى ضرجونى بالدم   شنشنة أعرفها من أخزم

فصار مثلا يضرب لمن صدر منه ما ليس أهلا للصدور منه •

أو ترك نظائرة ، كما فى رفع النعت المقطوع فى المدح كقولك : « الحمد لله الشكور » برفع الشكور • والتقدير : الله الشكور • والرفع على الذم كقولنا : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » بالرفع : أى هو الرجيم •

أو الرفع على الترحم ، كقولنا : « اللهم ارحم عبدك المسكين » أى هو المسكين • فالرفع على هذه الأوجه يوجب الحذف(٨) •

ويذكر صاحب الأطول : « أن الحذف هنا للاحتراز عن مخالفة القياس ، أو من ضعف التاليف فهو من متعلقات البلاغة التى مرجعها غير علم البلاغة ولا تعلق له بمقتضى الحال الذى هو من وظيفة علم المعانى »(*) •

٧ ـ وقد يحذف المسند اليه حالة كونه فاعلا ، واسند الفعل الى النائب عن الفاعل •

كقول النابغة الذبيانى :

نبئت أن أبا قابوس أوعدنى   ولا قرار على زأر من الأسد

فحذف الفاعل : « الشاعر » خوفاً عليه •

ومن ذلك قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى ، وقيل بعدا للقوم الظالمين »(٩) •

---

(٨) المختصر ج ٢٠٤/١ •   (*) المرجع السابق ج ٢٠٤/١ •
(٩) هود : ٤٤ •

فالفاعل الحقيقى هو الله سبحانه وتعالى فلما كان معلوماً لأنه سبحانه وتعالى الخالق القادر ، فقد اسند الفعل المبنى للمجهول لنائب الفاعل ، لأن القصد هو الاشارة الى سرعة استجابة الأرض والسماء والماء لأوامر الله سبحانه وتعالى .

٨ ـ كما يحذف المسند اليه لضيق المقام بسبب ضجر أو سآمة أو خوف فوات فرصة كقولك لصديقك : « عدوك » تقصد : هذا عدو . وكقول الشاعر :

قال لى كيف انت قلت عليل ، سهر دائم وحزن طويل

٩ ـ كما يحذف المسند اليه للمحافظة على وزن أو قافية أو سجع أو ما اشبه ذلك : « فمن المحافظة على الوزن كما فى البيت السابق : قال لى كيف أنت ...... فلو قال : « أنا عليل » لفات الوزن .

ومن القافية قول لبيد :

وما المال والأهلون الا ودائع ولابد يوماً أن ترد الودائع

فانه لو قال : « أن يرد الناس الودائع » فاتت القافية .

ومن السجع قولك : « من طابت سريرته ، حمدت سيرته » . فانه لو قال : « حمد الناس سيرته » فات السجع(١٠) .

١٠ ـ وقد يكون الحذف للاخفاء عن غير السامع من الحاضرين كقولك : « جاء » تقصد شخصاً بعينه ، فلا تذكر اسمه خشية أمر ما .

« وقد يحذف المستد اليه لأغراض سوى ما ذكر باعتبار المقامات التى يذكر فيها ، ولا يهتدى الى أمثالها الا العقل السليم والطبع المستقيم »(١١) .

***

---

(١٠) المختصر ج ٢٠٣/١ .   (١١) المفتاح ص ٧٦ .

٢ ـ ذكر المسـند اليه

١ ـ يذكر المسـند اليه لأنه الأصل فى الجملة ، ولا مقتضى للعدول عنه ، الا اذا كان هناك داع من الدواعى التى ذكرت فى مواضع الحذف السـابقة ، فان لم يكن ، فلابد من ذكره ، كقـوله تعـالى : « **قل اللهم مالك الملك** »(١٢) .

٢ ـ وقد يذكر للاحتياط لضعف التعويل على القرينة اما لخفائها ، أو لعدم الوثوق بذكر السـامع ، فيلجأ المخاطب الى ذكره اما لبعد العهد بذكره ، فيخشى أن يكون السامع قد غفل عنه ، كقولك : « حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ » . فى موقف يكون الحديث فيه عن كثيرين غيره من الشعراء المسلمين ، فيذكر اسم الشاعر « حسان » لضعف التعويل على القرينة لخفائها .

أو يكون للتنبيه على غباوة السامع كقول الله تعالى : « **وما محمـد الا رسـول قد خلت من قبـله الرسـل** »(١٣) . لمن يكابر من المنافقين وينكر الرســالة .

وكقول الفرزدق يهجو جريراً :

اولئـك آبائى فجئنى بمثلهم ... اذا جمعتنـا ياجرير المجامع

٣ ـ زيادة الايضاح والتقرير ، وزيادة تثبيته فى ذهن السامع ، كقوله تعالى : « **أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون** »(١٤). فالتكرار فى قوله تعالى : « **أولئك** » يفيد التأكيد والايضاح .

وكقول عمرو بن كلثوم :

وقد علم القبـائل من معد ... اذا قبب بأبطحهـا بنينـا
بأنـا المطعمـون اذا قـدرنا ... وانـا المهلـكون اذا ابتلينـا

---

(١٢) آل عمران : ٢٦ .
(١٣) آل عمران : ١٤٤ .
(١٤) البقرة : ٥ .

وأنـا المانعـون اذا أردنـا   وأنـا النازلون بحيث شـينا

وأنـا التاركون اذا سـخطنا   وأنـا الآخـذون اذا رضـينا

فتكرر المسند اليه : « أنا » لزيادة الايضاح والتقرير ٠

٤ ـ بسط الكلام والاطناب فيـه : كقوله تعـالى حكاية عن موسى عليه السلام : « **وما تلك بيمينك ياموسى ٠ قال هى عصاى أتوكأ عليهـا وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى** »(١٥) فذكر المسند اليه «هى» وكان يمكن أن يكتفى به لكنـه زاد « عصـا » ليطيل مقـام الحـديث مع الله سبحانه وتعـالى ليزداد شرفاً وعلواً ، وزاد كذلك فى منافعها ، وكل هـذا لأن الكلام مع رب العزة ٠

٥ ـ وقد يطلب بسط الكلام لغير ذلك من مقامات المـدح والرثـاء والفخر أو التعجب ٠ فالفخر كما فى قول الشـاعر :

فعباس يصـد الخطب عنـا   وعباس يجير من اسـتجارا

وفى التعجب كقولك : الجندى هزم العدو ٠

٦ ـ واما لاظهار تعظيمه ، كقوله تعالى : « **قل هو الله أحد** »(١٦) وكقوله تعالى : « **محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفـار رحماء بينهم** »(١٧) ٠

٧ ـ أو لاهانته كقولك : « اللص قادم » ٠

٨ ـ أو لاستلذاذه : كقـولك : « الله خالق كل شىء والله رازق كل حى » ٠

وكقول الشـاعر :

بالله ياظبيات القـاع قلن لنا   ليلاى منكن أم ليلى من البشر

٩ ـ أو للتبرك بذكر اسمه كقولك : محمد رسـول الله ، وابراهيم الخليل أبو الأنبيـاء ٠

---

(١٥) طـه : ١٧ ، ١٨ ٠   (١٦) الاخلاص : ١ ٠
(١٧) الفتح : ٢٩ ٠

١٠ ـ لافادة التخصيص : يقول السكاكى : « واما لكون الخبر عام النسبة الى كل مسند اليه والمراد بتخصيصه بمعين كقولك : « زيد جاء ، وعمرو ذهب » ٠

وكقول الشاعر(١٨) :

والنفس راغبــة اذا رغبتهــا   واذا ترد الى قليـــل تقنع

١١ ـ وقد يكون للتسجيل على السامع حتى لا يكون له سبيل الى الانكار ٠

من ذلك قول الفرزدق لهشام بن عبد الملك عندما سأل عن ابن الحسين رضى الله عنهما ، وكان الناس يجلونه :

هذا ابن خير عباد الله كلهم   هــذا التقى النقى الطاهر العــلم

هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله   بجده أنبيــاء الله قد ختموا

هذا وهناك أغراض أخرى تتعدد وفقــاً لغرض المتكلم مما يقصر عنــه المقــام ٠

* * *

---

(١٨) هو : خويلد بن خالد المعروف بأبى ذؤيب الهذلى ٠

٣ ـ تعريف المسـند اليه

الأصل فى المسند اليه أن يكون مذكوراً ، كذلك اذا كان القصد من الكلام افادة السامع فائدة يعتد بها ، وكان فى تعريفه اقوى ، وجب تعريفه وهذا ما سمى من قبل : بـ « فائدة الخبر » أو « لازم فائدة الخبر » .

والتعريف قد يكون بالاضمار او بالعلمية أو بالموصولية أو باسم الاشارة ، أو معرفاً بـ « ال » أو باللام المضافة الى المعارف اضافة حقيقية ، او ما زاد على ذلك من كونه مصحوباً بشىء من التوابع الخمسة .

وسنتعرض الآن ان شاء الله تعالى بالتفصيل لتلك المواضع :

التعريف بالاضمـــار

يعرف المسند اليه بالاضمار وأنواعه ثلاثة : تكلم ، خطاب ، غيبة .

١ ـ فى مقام التكلم : كقوله تعالى : **« وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون »(١٩) .**

وكقول بشار :

أنا المرعث لا اخفى على احد ... ذرت بى الشمس للقاصى وللدانى

فقد أتى بالمسند اليه معرفا بضمير المتكم « أنا » . للفخر .

وكقول النبى ﷺ :

« انـــا النبـــى لا كـــذب انـــا ابن عبـــد المطلب »

فالمقام يقتضى ذكر المسند اليه « أنا » وذلك لتذكير المسلمين بالرسالة وصدق النبوة ، فيستعيدون قدرتهم على القتال رغم كثرة الكفار .

---

(١٩) الحجر : ٢٣ .

٢ ـ ضمير الخطـــــاب :

وقد يأتى التعريف بضمير الخطاب ليقصد به مخاطبا واحدا بعينـــه كما جاء فى قول الله تعالى : « **أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم** »(٢٠) ، وكقوله تعالى مخاطبا عيسى عليه السلام : « **أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله** »(٢١) ٠

وقد يخاطب الجمع كما جاء فى قول الله تعالى : « **أفرأيتم ما تمنون٠ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون** »(٢٢) ٠ ولعل السر فى تعيين الخطاب أن الكلام يكون موجها لحاضرا ٠

وقد يخرج الخطاب عن كون المراد به معينا فيأتى على سبيـــل العموم ، كقوله تعالى : « **ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عنـــد ربهم** »(٢٣) فالخطاب فى القـــول الكريم عاما شـــاملا لكل من تتاتى منه الرؤية ، فالمراد هو الوعظ والتنبيه الى شدة حال المجرمون ، وفى ذلك زجر شديد للنفس ٠

وقد ورد ذلك كثيرا فى القـــرآن الكـــريم فمن ذلك قوله تعـــالى : « **ولو ترى اذ وقفوا على النار** »(٢٤) ؛ وقوله تعـــالى : « **وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل** »(٢٥) ٠

٣ ـ وقد يأتى التعريف **بالضمير الغائب :** لكون المســند اليه مذكوراً أو فى حكم المذكور لقرينة ، فمما يذكر فيه القرينة لفظية قول الله تعالى : « **وما بكم من نعمة فمن الله ، ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون** »(٢٦) ٠ فالقرينة ذكر لفظ الجلالة « الله » فى أول القول الكريم ، وكقوله تعـــالى : « **بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** »(٢٧) ٠

---

(٢٠) الأنبياء : ٦٢ ٠ — (٢١) المائدة : ١١٦ ٠
(٢٢) الواقعة : ٥٨ ، ٥٩ ٠ — (٢٣) السجدة : ١٢ ٠
(٢٤) الأنعام : ٢٧ ٠ — (٢٥) الشورى : ٤٤ ٠
(٢٦) النحل : ٥٣ ٠ — (٢٧) البقرة : ١١٢ ٠

وقد تكون معنوية كقوله تعالى : « **اعدلوا هو أقرب للتقوى** »(٢٨) ففى قوله تعـالى : « اعدلوا » معنى العدل ٠

أو لدلالة قرينة الحال ، كقوله تعـالى : « **ولأبويه لكل واحد منهما السـدس** »(٢٩) ٠ اى أبوى الميت ٠ وكقوله تعـالى : « **حتى توارت بالحجاب** »(٣٠) فان قرينة ذكر العشى والتوارى بالحجاب مع سـياق الكلام الدال على فوات وقت الصلاة تدل على المرجع للشمس »(٣١) ٠

وكقول الشـاعر :

هو البحر من اى النواحى أتيته   فلجته البحـر والبر سـاحله

* * *

---

(٢٨) المـائدة : ٨ ٠   (٢٩) النساء : ١١ ٠
(٣٠) سورة ص : ٣٢
(٣١) المختصر على المطول ج ٢٠٧/١ ٠

التعريف بالعلميـة

١ ـ يؤتى بالمسند اليه علماً لاحضاره بعينه فى ذهن السامع ابتداء باسم مختص به كقوله تعـالى : « **الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لـكم الفلك لتجـرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار** »(٣٢) . فذكر لفظ الجلالة لأنه وحده سبحانه وتعالى القادر على كل شىء والخالق لكل شىء . ومثله قوله تعـالى : « **ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العـالمين** »(٣٣) .

٢ ـ واما لتعظيمه أو اهانته كمـا فى الكنى والألقاب المحمـودة والمذمومة ، فتقول فى المدح : جاء ابو الخير . وفى الذم : جاء ابو جهـل .

٣ ـ كما يأتى للتفاؤل والتطير تقول فى التفاؤل : سعد فى دارك . وفى التطير : السفاح فى دار عمك . فكلا من « سعد » ، و « السفاح » تعد كنية بالرجوع الى المعنى اللغوى ، وذلك لكونها منقولات من معان شريفة أو خسيسة .

٤ ـ أو للتبرك بذكر اسمه كقولك : « الله ربنا الهادى ، ومحمـد نبينـا » .

* * *

(٣٢) ابراهيم : ٣٢ .

(٣٣) آل عمران : ٣٣ .

التعريف بالموصولية

قدم الخطيب القزوينى ، وصاحب المطول تناول التعريف بالموصولية على التعريف باسم الاشارة مع انه أعرف منه لأن فيه شبه الألقاب بافادته وصف الرفعة وعكسها ٠ واما المعرف بـ « ال » العهدية فهو مع المعرف بالموصولية رتبة واحدة ، ولذلك صح وصف المعرف بـ « ال » بالموصول ٠ ولكن قدم الموصول عليه لما ذكر أيضا ٠

والمضاف رتبته رتبة ما اضيف اليه متأخره عن ذوات الرتب أنسب »(٣٤) ٠

* * *

● **الأغراض البلاغية التى يرد فيها المسند اليه اسماً موصولا :**

١ ــ لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة ، كقولك : « الذى حضر عندنا امس رجل من الحضر » ٠ أو « رجل عالم » وذلك اذا كان المخاطب لا يعلم عن المتحدث شيئا ٠

٢ ــ أو لاستهجان التصريح بالاسم ، او لزيادة التقرير كما جاء فى قوله تعالى : « **وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه** »(٣٥) حيث عدل عن التصريح باسم امرأة العزيز « زليخا » استهجانا لفعلها مشيرا لذلك بالصلة فى قوله تعالى : « **التى هو فى بيتها** » كما أن القول الكريم به تنزيه ليوسف عليه السلام عن الفحشاء وذلك بعدم ذكر اسمه فى ذلك الموقف ٠

٣ ــ للتفخيم والتهويل ، كقوله تعالى : « **فغشيهم من اليم ما غشيهم** »(٣٦) أى أن الذى غشيهم شىء عظيم ٠ وقوله تعالى : « **اذ يغشى السدرة ما يغشى** »(٣٧) ٠

---

(٣٤) المختصر ج ٢١٧/١ ٠ (٣٥) يوسف : ٢٣ ٠
(٣٦) طـه : ٧٨ ٠ (٣٧) النجم : ١٦ ٠

٤ ـ قد يكون لتنبيه المخاطب على خطأ أو تحذير مخافة وقوع ضرر كقول عبدة بن الطيب :

ان الذين ترونهم اخوانكم يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا

فصلة الموصول « ترونهم اخوانكم » فيه تحذير من قوم بعينهم يضمرون الحقد والضغينة ، ويظهرون غير ذلك وهؤلاء القوم يظنونهم اخوانهم ٠

٥ ـ وقد يكون للايماء الى وجه بناء الخبر كقوله تعالى : « **ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين** »(٣٨) فقوله تعالى : « **الذين يستكبرون عن عبادتى** » يشير الى نوع الخبر الذى سيرد بعد ذلك فيكون الخبر من جنس الاسم الموصول وصلته من عذاب ونكال ٠

ومثله قوله تعالى : « **ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة** »(٣٩) ٠ وقوله تعالى : « **الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين** »(٤٠) ٠

وقول الفرزدق :

ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

وقول عبدة بن الطيب :

ان التى ضربت بيتاً مهاجرة بكوفة الجند غالت ودها غول(٤١)

الشاهد فى قوله : « التى ضربت » فيه اشارة الى بعدها ، وهذا يومىء الى زوال المحبة على رأى السكاكى ، اما الخطيب القزوينى فيرى غير ذلك حيث يقول : « وفيه نظر ، اذ لا يظهر بين الايماء الى وجه بناء

---

(٣٨) غافر : ٦٠ ٠ (٣٩) فصلت : ٣٠ ٠
(٤٠) الأعراف ٩٢ ٠
(٤١) كوفة الجند : مدينة الكوفة ٠ غالت : بمعنى اكلت ٠

الخبر وتحقيق الخبر فرق ، فكيف يجعل الأول ذريعة الى الثانى ، والمسند اليه فى البيت الثانى ليس فيه ايماء الى وجه بناء الخبر عليه بل لا يبعد أن يكون فيه ايماء الى بناء نقيضه »(٤٢) .

٦ ـ التشويق الى الخبر ليتمكن فى ذهن السامع ، كقول ابى العلاء المعرى :

والذى حارت البرية فيه   حيوان مستحدث من جماد

فصلة الموصول « حارت البرية فيه » شىء يدعو للتشويق لمعرفة المقصود به ، فاذا جاء الخبر بعد ذلك تمكن فى ذهن السامع .

وكقول الشاعر :

ان الذى الوحشة فى داره   يؤنسه الرحمة فى لحده

« قصد بذلك أن يتوجه ذهن السامع الى ما سيخبره به عنه منتظراً لوروده عليه حتى يأخذ منه مكانه »(٤٣) .

٧ ـ وكاخفاء الأمر عن غير المخاطب ، كقول الشاعر :

وأخذت ما جاد الأمير به   وقضيت حاجاتى كما أهوى

* * *

---

(٤٢) بغية الايضاح ج ٨٩/١ .   (٤٣) المفتاح ص ٧٩ .

التعريف بالاشـارة

يؤتى بالمسند اليه معرفاً بالاشارة لأغراض بلاغية نذكر منها :

١ ـ لتمييزه أكمل تمييز لصحة احضاره فى ذهن السامع بوساطة الاشارة حسا ، كقول ابن الرومى :

هـذا ابو الصقر فرداً فى محاسنه   من نسل شيبان بين الضال والسلم (٤٤)

وأبو الصقر الشيبانى هو وزير المعتمد ، فجاء المسند اليه اسم اشارة قصداً الى تمييزه ومدحه عن غيره .

وكقول الشاعر :

واذا تأمل شخص ضيف مقبـل   متسربل سربال ليـل اغبر

أوما الى الكـوماء هـذا طارق   نحرتنى الأعداء ان لم تنحرى (٤٥)

فالأبيات توضح كرم الشاعر ، وجوده ، وقد جاء المسند اليه معرفاً باسم الاشارة فى قوله : « هـذا طارق » .

وكقول جرير المعروف بالمتلمس :

ولا يقيم على ضيم يراد به   الا الأذلان عير الحى والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته   وذا يشج فلا يرثى له أحد

فالمسند اليه : أسـماء الاشارة : « هذا » ، « ذا » يدلان على التحديد والتمييز .

---

(٤٤) الضال : شجر السدر البرى . والسلم : شجر ذو شوك . وقوله : « بين الضال والسلم » كناية عن عزهم .

(٤٥) قيل ان البيتين لرجل يمدح حاتماً . وقيل انهما لحسان بن ثابت ، وقيل : انهما لعبد الله بن مسـلم . وقوله : « أوما » تخفيف « أومأ » بمعنى أشار . والكوماء : الناقة الضخمة .

وكقول الفرزدق :

هـذا ابن خير عبـاد الله كلهم   هـذا التقى النقى الطاهر العلم

هـذا الذى تعرف البطحاء وطأته   والبيت يعـرفه والحل والحرم

وذلك حين سأل رجل هشـام بن عبد الملك عن على بن الحسـين فتجاهله هشام فساء ذلك الفرزدق فأنشأ هذه الأبيات •

٢ ـ للتنبيه على غباوة السامع ، كقول الفرزدق :

أولئـك آبائى فجئنى بمثلهم   اذا جمعتنـا ياجرير المجامع

فقوله : « فجئنى » للتعجيز ، فالشاعر يهجو جريراً ويحط من قدره ، ويعرض بغبائه ، ويفهم هذا من اسم الاشارة « أولئك » والذى يشير به الى قومه وهم غائبون لموتهم • كما أن التعجيز فى قوله « فجئنى بمثلهم » يفيد بأن جريراً ليس فى قومه ما يناظر أحساب الفرزدق وهـذا على غرار قوله تعـالى : « **فأتوا بسورة من مثله** »(٤٦) •

٣ ـ لبيان حاله فى القرب ، أو التوسط أو البعد • ومع افادة هذه النكتة يترتب على ذلك أن القرب يكون للتحقير كما فى قوله تعـالى : « **واذا رآك الذين كفـروا ان يتخـذونك الا هزواً أهـذا الذى يذكـر آلهتكم** »(٤٧) فدلالة القرب فى اسـم الاشـارة • «هـذا » للتحقير ، فالكافرون يسخرون من الرسول ﷺ لأنه يعرض بآلهتهم • والذى دل على ذلك افادة القرب فى اسم الاشارة « هـذا » •

ومثله قوله تعالى : « **وما هـذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب** »(٤٨) فاسم الاشارة هـذا للقريب يفيد تحقير شأن الدنيا •

٤ ـ كما يفيد القرب التعظيم أيضا : كقوله تعالى : « **ان هـذا القرآن يهدى للتى هى أقوم** »(٤٩) • فالقرب المسـتفاد من اسم الاشـارة يفيد

(٤٦) البقرة : ٢٣ •   (٤٧) الأنبياء : ٣٦ •
(٤٨) العنكبوت : ٦٤ •   (٤٩) الاسراء : ٩ •

ان القرآن الكريم قريبا من النفس والعقل وهذه ميزة اختص بها القرآن عن غيره من الكتب المنزلة .

٥ ـ كما أن البعد المستفاد من اسم الاشارة يفيد التحقير كقولك : « ذلك اللعين فعل كذا » ...

٦ ـ كما يفيد التعظيم فى قوله تعالى : « **الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه** »(٥٠) . تنزيلا لبعد درجته ورفعة محله منزلة بعد المسافة .

ونحو قوله تعالى : « **وتلك الجنة التى أورثتموها** »(٥١) .

٧ ـ واما للتنبيه على أن ما يرد بعد اسم الاشارة جدير بما يعقب بأوصاف بعده . كقوله تعالى : « **الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض ، أولئك هم الخاسرون** »(٥٢) . فالقول الكريم قد ذكر أوصافاً عديدة لقوم ثم عاد ليشير اليهم باسم الاشارة وقد جعل ما يترتب على تلك الأوصاف مسنداً الى اسم الاشارة ، واسم الاشارة هذا يفيد أن ما سيأتى بعده جدير به . وهو من نوع فعل ما يسبق اسم الاشارة .

كذلك قوله تعالى : « **الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون** »(٥٣) .

فقد ذكر الله سبحانه وتعالى عدة أوصاف للمتقين ، ثم ذكر اسم الاشارة وقد أعقبه بوصف جدير بالأوصاف التى سبقت اسم الاشارة .

وقول حاتم الطائى :

ولله صعلوك يساور همه ويمضى على الأحداث مقدماً
فتى طلبات لا يرى الخمص(٥٤) ترحة ولا شبعة ان نالها عد مغنما

---

(٥٠) البقرة : ١ ، ٢ . (٥١) الزخرف : ٧٢ .
(٥٢) البقرة : ٢٧ . (٥٣) البقرة : ١ ـ ٥ .
(٥٤) الخمص : الجوع ، وشبعاً مفعول أول لـ «عد» ، و «مغنما» مفعول ثان .

اذا مارای یوماً مکارماعرضت(٥٥) تيمسم كبراهن ثمت صـــمما
واحنـــاء سرج(٥٦) قاتـــر ولجـــامه
عتاد اخی هیجا وطرفا (٥٧) مسوما(٥٨)
فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش لم يقعد ضعيفاً مذمما

فالشاعر يذكر خصال الممدوح ثم عقب ذلك بقوله « فذلك » فأفاد أنه جدير باتصافه بما ذكر بعده • وكذلك قوله تعالى : « **أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون** »(٥٩) • فأفاد اسم الاشارة « أولئك » زيادة الدلالة على أن ما ذكر قبله جدير بالوصف الذى بعده •

* * *

(٥٥) أعرضت : بمعنى ظهرت ، تيمم : قصد •
(٥٦) أحناء السرج : جمع حنو لكل من قربوسه المقدم والمؤخر •
(٥٧) الطرف : الجواد الكريم الأصل •
(٥٨) المسوم : الذى يرسل ليرعى أو للاغارة •
(٥٩) البقرة : ٥ •

التعريف « بأل » أو « باللام »

اما التعريف بـ « أل » فهو بجانب كونه دراسة تميل للجانب النحوى الا أن به نكاتاً بلاغية لطيفة يجدر الوقوف عليها .

فلا بد فى اللام ان تشير الى شىء مذكور قبلها ، فتزيد بذلك من ربط أواصر الجملة وتقويتها .

وتنقسم اللام كما يراها البلاغيون الى قسمين :

الأول : لام العهد الخارجى .

الثانى : لام الحقيقة .

● وتنقسم لام العهد الخارجى الى ثلاثة أقسام :

١ ـ لام العهد الصريح : وهو أن يكون قد تقدم لمدخولها ذكر صريح كقوله تعالى : « **رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى** »(٦٠) . فتعريف الأنثى باللام للعهد الخارجى الصريح ، لأن المعهود قد تقدم له ذكر صريح فى قوله تعالى : « أنثى » .

٢ ـ لام العهد الكنائى ، اى تقدير ذكره كناية ، وقد ورد ذلك فى الآية السابقة . فى قوله تعالى : « **اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محرراً فتقبل منى ، انك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى ، وانى سميتها مريم** » (٦١) . فالشاهد فى قوله تعالى : « **ليس الذكر كالأنثى** » فالتعريف باللام فى قوله « الذكر » هى لام العهد ولم يسبق لهـا ذكر صريح فى المقام ولكن بطريق الكناية ، حين قالت فى أول القول : « **رب انى نذرت لك ما فى بطنى محرراً** ... » الخ ولم يكن معلوماً آنذاك فيحتمل أن يكون ذكراً ، وهو المعنى الكنائى الضمنى كما يحتمل ان يكون انثى . فاللام هنا لام العهد الكنائى .

(٦٠) آل عمران ٣٦ .   (٦١) آل عمران : ٣٥ ، ٣٦ .

٣ ـ أن تكون اللام لام العهد العلمى الخارجى ولم يتقدمها ذكر صريح أو كنائى لكن للمخاطب علم به كقوله تعالى : « **اذ يبايعونك تحت الشجرة** »(٦٢) فتسمى اللام فى قوله تعالى : « الشـجرة » لام العهد العلمى لأن الشـجرة معلومة لدى الرسول ﷺ والمسلمون وهى شـجرة الرضوان التى بايع المسلمون تحتها الرسول ﷺ يوم الحديبية ، لكنه لم يسبق لها ذكر صريح أو كنائى فى الآيات التى تسبقها ، وانما معلومة لدى المخاطبين ٠

● اما لام الحقيقة فلها ثلاثة أحوال رئيسية :

١ ـ أن يكون مدخولها الحقيقة من حيث هى هى ، وتسمى لام الجنس ، ولام الحقيقة أو لام الطبيعة ٠ كقولك : الرجل العالم خير لأمته ، فاللام فى « الرجل » تسمى لام الجنس ٠

وكقول ابى العلاء المعرى :

والخل كالمـاء يبدى لى ضمائره   مع الصـفاء ويخفيها مع الكدر

يقول الشاعر : ان الصديق الصالح فى وقت صفائه يبدى ما يضمره وفى جفائه يخفى كدره فلا ترى منه ما يغضبك ٠ فاللام فى « الخل » المراد بها جنس الخل ٠

٢ ـ ان يكون مدخولها من حيث وجودها ضمن فرد غير معين ٠ وتسمى لام العهد الذهنى كقولك لزميلك : اذهب الى المنتدى ٠ فأنت لا تقصد منتدى بعينه وانما تطلب منه الذهاب لأى من المنتديات ، وهذا يراد به فرد غير معين فهو أشبه فى المعنى بالنكرة ٠

كقول عميرة بن جابر الحنفى :

ولقـد امر على اللئيم يسـبنى   فمضيت ثمت قلت لا يعنينى

وثمت حرف عطف لحقها تاء التأنيث ٠ فالشاهد فى اللام فى قوله : « اللئيم » ٠ فالمراد ، واحد غير معين يتصف باللؤم ٠

---

(٦٢) الفتح : ١٨ ٠

يقول صاحب المختصر : « وهذا فى المعنى كالنكرة ، وان كان فى اللفظ تجرى عليه أحكام المعارف من وقوعه مبتدأ ، أو ذا حال ، ووصفاً للمعرفة ، وموصوفاً بها ، ونحو ذلك »(٦٣) .

٣ ـ أو يكون من حيث وجودها ضمن جميع الأفراد التى يتناولها اللفظ بحسب اللغة ، وتسمى لام الاستغراق وهذه نوعان :

(أ) لام الاستغراق الحقيقى : وهو أن يراد بها كل فرد بحسب وضع اللغة كقوله تعالى : « **عالم الغيب والشهادة** »(٦٤) اى كل غيب وكل شهادة . ونحو قوله تعالى « **والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا** »(٦٥) . فاللام فى قوله تعالى : « الانسان » يراد بها جميع أفراد الانسان أبيضه وأسوده ، فاللام هنا لام الاستغراق الحقيقى التى يشار فيها الى الماهية باعتبار حضورها فى الذهن .

(ب) لام الاستغراق العرفى : وهو ان يراد كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب تفاهم العرف كقولك : « أكل الطفل الخضر » فليس المراد انه أكل كل جنس الخضر ، وانما المراد ما قدم له منه فقط .

***

---

(٦٣) المختصر ج ٢٣٢/١ . (٦٤) الأنعام : ٧٣ .
(٦٥) العصر : ١ ـ ٣ .

تعريف المسند اليه بالاضافة

يؤتى بالمسند اليه معرفاً بالاضافة لأغراض بلاغية منها :

١ ـ انه ليس للمتكلم الى احضاره فى ذهن السامع طريق أحضر منه .

كقول جعفر بن علية الحارثى :

هواي مع الركب اليمانين مصعد جنيب وجثمانى بمكة موثق(٦٦)

فالشاهد فى قوله : « هواى » . والأصل فيه أن يقول : « والذى أهوى » أو المهوى لى . فعمد الشاعر الى الاختصار عن طريق اضافة لفظ « الهوى » الى ياء المتكلم ، لأنه أخصر ، وانسب لما هو فيه من ضيق الصدر ، وكذلك لضيق المقام فى الشعر .

٢ ـ أو لاغنائها عن تفصيل متعذر أو مرجوح لجهة .

فمثال النوع الأول كقولك : جاء المسلمون الى المدينة . فمن المستحيل معرفة عدد المسلمون الذين اتوا لكثرتهم الشديدة .

ومثال الثانى : قول الحارث بن وعلة الجرمى :

قومى هم قتلوا أميم أخى فاذا رميت يصيبنى سهمى

فأميم : منادى مرخم . حذف منه الهاء للضرورة الشعرية ولتشير الى ما يعانيه الشاعر من آلام نفسية . وأميم كانت تحض الشاعر للأخذ بثأر أخيه . وموضع الشاهد فى قوله : « قومى » حيث عمد الشاعر الى التنكير عن طريق اضافة لفظ « قوم » الى ياء المتكلم دون تحديد لمن قتل أخيه لاغناء الاضافة عن تفصيل تركه لغرض هو خوف حقدهم عليه ، أو قتلهم له .

---

(٦٦) كان الشاعر مسجوناً بمكة فزارته محبوبته مع ركب من قومها ، فلما رحلت قال فيها ذلك . اليمانين : جمع يمان ، والفه عوض عن ياء النسب ، والمصعد : اسم فاعل من أصعد بمعنى أبعد فى السير . والجنيب : المستتبع من جانب البعير اذا قاده الى جنبه .

٣ ـ يؤتى بالمسند اليه معرفاً بالاضافة لتضمنه تعظيماً لشأن المضاف أو المضاف اليه فمما يأتى للمضاف قولك : « **ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** »(٦٧) . فعظم شأن المضاف « اولياء » لأنهم مضاف الى الله سبحانه وتعالى .

ومثال المضاف اليه كقولك : « خادمى حضر » تعظيما لك بأن لك خادماً .

أو تعظيما لشأن غيرهما : كقولك : « خادم الرئيس عندى » . فهو تعظيم للمتكلم بأن عبد الرئيس عنده ، وهو غير المسند اليه المضاف وغير ما اضيف اليه المسند اليه .

٤ ـ يؤتى بالمسند اليه معرفاً بالاضافة لتضمنه تحقير لشأن المضاف ، أو المضاف اليه ، أو غيرهما .

فمثال المضاف قولك : « صديق اللص جالس » ففى ذلك تحقير للصديق بأنه يجالس لصاً .

ومثال المضاف اليه قولك : « ضارب عمرو حاضر » تحقيراً لعمرو بأنه ضرب ولم يثأر لنفسه .

أو تحقير غير المضاف والمضاف اليه ، كقولك : « ولد اللص جليس زيد » . تقصد تحقير زيد لأنه يجالس ولد السارق اللص .

٥ ـ ان يتضمن التعريف بالاضافة اعتباراً لطيفاً ، كقول الشاعر :

اذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة ... سهيل اذاعت غزلها فى الأقارب

فاضافة الكوكب الى الخرقاء جاء لملابسة لطيفة ، وهى ان هذه المرأة لا تتذكر كسوة الشتاء الا وقت طلوع سهيل فى السحر . وذلك لا يكون الا وقت الشتاء مما يضطرها الى توزيع غزلها على أقاربها حتى يمكنها الانتهاء من اعداد ما يلزمها .

٦ ـ كما يفيد التعريف بالاضافة : الاسترحام والاستعطاف كما فى قوله تعالى : « **لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده** »(٦٨) فأضيف الولد الى والدته وكذلك الى والده لاستعطافهما على صغيرهما .

* * *

---

(٦٧) يونس : ٦٢ .   (٦٨) البقرة : ٢٣٣ .

أغراض التنكير

يؤتى بالمسند اليه نكرة لأغراض بلاغية نذكر منها :

١ ـ للافراد : فالنكرة المفرد تدل على فرد منتشر من جنس النكرة ، واذا كانت مثنى دلت على اثنين ، واذا كانت جمعاً دلت على ثلاثة ٠ او للنوعية ٠

فمما يشير الي الافراد قوله تعالى : « **وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى** »(٦٩) اى فرد من اشخاص الرجال ٠ وكقوله تعالى : « **وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم** »(٧٠) فقول تعالى : « دابة » ، و « طائر » يراد به الافراد والجنس ٠

ومما يشير للتثنية ما ذكره الخطيب القزوينى نقلا عن الزمخشرى فى تفسيره لقوله تعالى: «**لا تتخذوا الهين اثنين ، انما هو اله واحد**»(٧١) ٠ يقول القزوينى : ان الزمخشرى يذكر أن الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين : على الجنسية ، والعدد المخصوص ، فاذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما ، والذى يساق له الحديث هو العدد شفع بما يؤكده ، فدل به على القصد اليه ، والعناية به ٠ الا ترى أنك لو قلت : « انما هو اله » ٠ ولم تؤكده « بواحد » لم يحسن ، وخيل أنك تثبت الالهية ، لا الوحدانية »(٧٢) ٠

٢ ـ للنوعية ، كقوله تعالى : « **وعلى أبصارهم غشاوة** »(٧٣) أى : جنس من الأغطيـة غير ما يتعارفه النـاس ، وهو غطـاء التعامى عن آيات الله ٠

وكقوله تعالى : « **والله خلق كل دابة من ماء** »(٧٤) : أى : « نوع

---

(٦٩) القصص : ٢٠ ٠ (٧٠) الأنعام : ٣٨ ٠
(٧١) النحل : ٥١ ٠ (٧٢) البغية : ١١٠/١ ٠
(٧٣) البقرة : ٧ ٠ (٧٤) النور : ٤٥ ٠

من المـــاء مـختص بتلك الدابة أو من ماء مـخصوص وهى النطفة ، أو كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع المياه »(٧٥) ٠

٣ ـ أو للتكثير ، كقولهم : ان له لابلا ، وان له لغنماً : يريدون الكثرة٠

٤ ـ أو للتقليل كقوله تعالى : « **وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ، ورضوان من الله أكبر** »(٧٦) ٠ أى وشىء ما من رضوانه أكبر من ذلك كله لأن رضاه سبب كل سعادة وفلاح ، ولأن العبد اذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر فى نفسه مما وراءه من النعيم ، وانما تهنأ برضاه ، كما أنه اذا علم بسخطه تنغصت عليه ، ولم يجد لها لذة وان عظمت »(٧٧) ٠

٥ ـ وقد يفيد التنكير التحقير والتقليل معاً كقولك : حصل لى منه شىء ٠ أى حقير قليل ٠

٦ ـ وقد يأتى للتعظيم وعلو الشأن أو التحقير ، وذلك كقول الشاعر :

فتى لا يبالى المدلجون بنوره الى بابه الا تضىء الكواكب

له حاجب عن كل أمر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجبا

فمعنى حاجب الأولى : للتعظيم أى له حاجب عظيم عن كل أمر يشينه بينما لا يوجد أدنى حاجب بينه وبين طالب الاحسان ٠ فمعنى حاجب الثانية للتحقير ٠

ومما جاء للتعظيم قوله تعالى : « **ولكم فى القصاص حياة** »(٧٨) أى حيـــاة عظيمة عزيزة لمنعه بذلك قتل نفس ٠

ومما جاء للتحقير قوله تعالى : « **ولتجدنهم أحرص الناس على حياة** » (٧٩) حيث جاءت لفظة « حياة » نكره فأفادت تحقير شـــأن هذه الحياة التى يحرصون عليها ٠

---

(٧٥) البغية ١٠٣/١ والمفتاح ص ٨٣ ٠
(٧٦) التوبة : ٧٢ ٠
(٧٧) البغية : ١٠٣/١ ٠ (٧٨) البقرة : ١٧٩ ٠
(٧٩) الدلائل لعبد القاهر ص ١٨٩ ، والآية من سورة البقرة : ٩٦ ٠

٧ ـ ومما جاء للتعظيم والتكثير معاً كقوله تعالى : « **فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك** »(٨٠) ٠ أى رسل كثيرة ذووا آيات ونذر ٠

هـذا وهناك فرق بين التعظيم والتكثير ، وهو أن التعظيم لعلو الشأن وارتفاع الدرجات ٠ أما التكثير فيكون باعتبار الكميات والمقادير تحقيقاً أو تقديراً ٠

كما ان هناك فرق بين التحقير والتقليل ٠ فالتحقير يكون بحسب انحطاط الشأن ودنو المرتبة ويكون التقليل بحسب الكمية ٠

* * *

(٨٠) آل عمران : ١٨٤

التقـــديم

أما تقديم المسـند اليه فانه يقدم وجوباً لأن أصله التقديم ، لأنه المحكوم عليه ولا مقتضى للعدول عنه ، ذلك لكون ذكره أهم ٠ ولأغراض بلاغية أخرى نذكر منها :

١ ـ ليتمكن الخبر فى ذهن السامع لأن فى المبتدأ تشويقاً اليه ، وحصـول الشىء بعد التشـويق يكون فى النفس أوقع ، من ذلك قول ابى العلاء المعرى :

والـذى حارت البرية فيـــه حيـوان مستحدث من جماد(١)

فقدم المسند اليه ، الاسم الموصول وصلته : « والذى حارت البرية فيه » يشير الى أمر غريب يدعو للدهشة ، ثم جاء المسند بعد ذلك فكان جوابه أشد وقعاً فى النفس ٠

٢ ـ واما لتعجيل المسرة أو المسـاءة للتفاؤل : نحـــو قولك فى التفاؤل : « سعد فى دارك » ، أو « السفاح فى دار أخيك » للتطير ٠

٣ ـ واما لايهام انه لا يزول عن الخاطر مثل : « **هو الله الذى لا اله الا هو ، عالم الغيب والشهادة** »(٢) ٠

٤ ـ واما لأنه يستلذ فهو الى الذكر اقرب ٠ كقول قيس بن الملوح :

بالله ياظبيات القاع قلن لنا ليلاى منكن أم ليـلى من البشر

٥ ـ واما لتعجيل اظهار تعظيمه أو تحقيره ، مثال الأول قولك : محمد نبينا ، الله ربنا ٠ والثانى ، كقولك : الجاهل غائب عن المجلس ٠

---

(١) حارت : بمعنى اختلفت من اطلاق الملزوم وارادة اللازم على سبيل المجاز المرسل ٠
(٢) الحشر : ٢٢ ٠

٦ ـ افادة تخصيص الحكم . يقول الامام عبد القاهر : « وقد يقدم المسند اليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلى ان ولى حرف النفى كقولك : ما أنت قلت هذا ، فأفاد نفى الفعل عنك وثبوته لغيرك . فلا تقول ذلك الا فى شىء ثبت أنه مقول ، وانت تريد نفى كونك قائلا له ، ومنه قول الشاعر :

وما أنا أسقمت جسمى به ولا أنا أضرمت فى القلب نارا

اذ المعنى : ان هذا السقم الموجود والضرم الثابت ، ما انا جالبا لهما ، فالقصد الى نفى كونه فاعلا لهما الى نفيهما . ولهذا لا يقال : « ما أنت قلت ولا أحد غيرى » ، لمناقضة منطوق الثانى لمفهوم الأول . بل يقال : ما قلت أنا ولا أحد غيرى . ولا يقال : ما أنا رأيت أحداً من الناس ، ولا ما أنا ضربت الا زيدا ، بل يقال : ما رأيت أنا أحدا من الناس، أو ما ضربت أنا الا زيداً ، لأن النفى فى الأول الرؤية الواقعة على كل واحد من الناس ، وفى الثانى : الضرب الواقع على كل واحد منهم سوى زيد »(٣)

ومن ذلك قوله تعالى : « **وما أنت علينا بعزيز** »(٤) .

٧ ـ اذا لم يل المسند اليه حرف النفى بأن لا يكون فى الكلام حرف نفى أو يكون حرف النفى متأخراً عن المسند اليه ، وكان القصد قصر الفعل على المسند اليه ونفيه عن غيره ، فان ذلك يحتمل ثلاثة أوجه :

(١) اذا كان المخاطب مترددا فيمن فعل الفعل ، أهو على أم زيد . فتقول له : زيد كتب فى معنى فلان . فان ذلك يسمى قصر تعيين(٥) .

---

(٣) البغية ج ١٢١/١ ، ١٢٢ .
(٤) هود : ٩١ .
(٥) قصر التعيين : هو ما كان المخاطب فيه مترددا فى الأمر . وقصر الافراد : ما كان معتقدا فيه الشركة ، وقصر القلب : ما كان يعتقد العكس .

(٢) اذا كان المخاطب يعتقد الشركة فى الأمر بأن كان يعتقد أن الذى فعل الفعل هو على وزيد وعمرو ، فتقول له : « زيد كتب فى معنى فلان » . فان ذلك يسمى قصر افراد .

(٣) اذا كان المخاطب يعلم عكس الحقيقة ، بأن يعتقد أن الذى فعل « على » بينما الصحيح يكون « زيدا » فتقول له عكس ما يعتقد: « زيد كتب فى معنى فلان » فان ذلك يسمى « قصر قلب » .

ومن الأمثلة المشهورة التى أوردها البلاغيون لافادة التخصيص ، قوله تعالى : **« ومن أهل المدينة ، مردوا على النفاق لا تعلمهم ، نحن نعلمهم »** (٦) . « أى لا يعلمهم الا نحن ، ولا يطلع على اسرارهم غيرنا ، لابطانهم الكفر فى سويداوات قلوبهم »(٧) وكالمثل : « **اتعلمنى بضب انا حرشته** » ؟ (٨) .

٨ ـ تقوية الحكم وتقريره فى ذهن السامع وتمكنه دون التخصيص . وذلك على وجهين :

الأول : اذا تقدم المسند اليه على المسند الخبر الفعلى ، ولم يكن فيه نفى ـ وكان الغرض هو افادة التقوية والتاكيد للحكم ، وليس لقصره عليه كقولك : « هو يعطى الجزيل » يقول الخطيب القزوينى : « لا تريد ان غيره لا يعطى الجزيل ، ولا أن تعرض بانسان ، ولكن تريد أن تقرر فى ذهن السامع وتحقق أنه يفعل اعطاء الجزيل .

وسر التقوية فى ذلك هو تكرار الاسناد . فقد اسند الفعل «يعطى» مرة الى المسند اليه الظاهر ، فى قوله « هو » وأخرى الى الضمير المستقر فى الفعل . وبذلك تقرر الحكم وتقوى فى ذهن السامع .

وكقول المعذل بن عبد الله الليثى يمدح فتيان بنى عتيك :

---

(٦) التوبة : ١٠١ .　　　(٧) البغية : ١٢٤/١ .

(٨) حرشته : صدته . والمثل يضرب لمن يخبرك بشىء أنت أعلم به منه .

هم يفرشـــون اللبـــد كل طمرة   وأجـرد سـباح يبذ المغاليـا(٩)

والشاهد فى قوله : « هم يفرشون » فقد أسند الفعل « يفرشون » مرتين ، مرة الى المسند اليه الضمير الظاهر « هم » ، والأخرى الى « واو الجماعة » المتصلة بالفعل المضارع مما أدى الى تقوية الحكم وتوكيده .

وكقول الأخنس بن شهاب التغلبى :

فهم يضربون الكبش(١٠) ببرق بيضه

على وجهـــــه من الدماء ســــبائب

والشاهد فى قوله : « هم يضربون » حيث أسند الفعل مرتين . مرة أسند المسند اليه الى الضمير الظاهر «هم» ومرة أسند «لواو الجماعة» المتصلة بالفعل . فأفاد التوكيد والتقوية للحكم .

يقول الامام عبد القاهر : « لم يرد أن يدعى لهم هذه الصفة دعوى من يفردهم بها ، وينص عليهم حتى كأنه يعرض بقوم آخرين ، فينفى أن يكونوا أصـحابها ؟ هذا محال ، وانما أراد أن يصـفهم بأنهم فرسان يمتهدون صهوات الخيل ، وأنهم يقتعدون الجياد منها ، وأن ذلك دابهم من غير أن يعرض لنفيه عن غيرهم ، الا أنه بدأ بذكرهم لينبه السامع لهم ويعلمه بدياً قصده اليهم بما فى نفسه من الصفة ليمنعهم بذلك من الشك ومن توهم أن يكون قد وصفهم بصفة ليست هى لهم ، أو أن يكـون قـد أراد غيرهم فغلط اليهم » .

وقوله : « هم يضربون » ، لم يرد أن يدعى لهم الانفراد ، ويجعل

---

(٩) اللبد : المتلبد من الصوف أو الشعر . والطمرة : الفرس الكريمة. والأجرد : القصير الشعر . والسباح : اللين الجرى السريع العدو . والمغاليا : بضم الميم : السهم . وبفتحها : جمع فعلى أو فعلاة وهى : السـهم أيضـا والمعنى أنه : أسرع من السهم .

(١٠) الكبش : الشجاع . البيض : اللامة ، السبائب : الطرائـق جمع سبيبة . والمعنى : أنهم يضربون فيسيل دمه كأنه طرائق .

هــذا الضرب لا يكون الا منهم ، ولكن أراد الذى ذكرت لك من تنبيه السامع لقصدهم بالحديث من قبــل ذكـر الحـــديث ليحقق الأمـــر ويؤكده »(١١) ٠

الوجه الثانى : اذا تقدم المسند اليه ، وكان الفعل منفياً فقد ياتى التقديم للتخصيص وقد يأتى للتقوى ٠ فالأول كقولك : « انت ما سعيت فى حاجتى » قصدا الى تخصيصه بعدم السعى ٠ والثانى كقولك : « أنت لا تكذب » وهو لتقوية الحكم المنفى وتقريره ٠

بذلك يكون اشد لنفى الكذب من قولك : « لا تكذب » وذلك لتكرار الاسناد فى قولك : « انت لا تكذب » فقد اسند الفعل الى المسند اليه مرة ، وأسند مرة أخرى الى الفاعل الضمير المستتر فى الفعل ٠

أما قولك : « لا تكذب » فقط ٠ فالفعل مسند فيه الى الفاعل الضمير المستتر فقط ٠

ومما يفيد التقوى قوله تعالى : « **والذين هم بربهم لا يشركون** »(١٢) فقوله تعالى : « هم لا يشركون » اقوى فى التأكيد من القول : « لا يشركون بربهم » أو القول : « الذين بربهم لا يشركون » ومثل ذلك قوله تعالى : « **لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون** »(١٣) ٠ فقوله تعالى : « هم لا يؤمنون » اقوى تاكيدا من القول : « لا يؤمنون هم » ٠

ومما يجدر التنبيه اليه أن افادة المسند اليه التخصيص أو التقوى يكون تبعاً لمقتضى الحال ٠

* * *

---

(١١) دلائل الاعجاز لعبد القاهر ص ٨٦ ، ٨٧ ٠

(١٢) المؤمنون : ٥٩ ٠ (١٣) يس : ٧ ٠

تقديم المسند اليه لافادة عموم السلب وسلب العموم

معنى العموم : هو شمول الحكم جميع الأفراد سواء نفيا أو اثباتا ٠
والفاظ العموم مثل : «كل» و «جميع» ، فاذا تقدم أحدهما على أداة النفى توجه النفى الى الشمول خاصة دون الفعل ٠ كقولك : « كل ذلك لم يكن » فيكون النفى عاما ٠

« وكقول النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له ذو اليدين : أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « كل ذلك لم يكن » أى لم يكن واحد منها : لا القصر ، ولا النسيان ٠ فشمل النفى جميع الفعل ٠

ومما يدل على شمول النفى قول أبى النجم العجلى :

قد أصبحت أم الخيار تدعى ... على ذنبا كله لم أصنع

برفع «كله» على معنى «لم أصنع شيئا مما تدعيه على من الذنوب» ، ولافادة هذا المعنى عدل عن النصب المستغنى عن الاضمار الى الرفع المفتقر اليه ٠ أى لم أصنعه » (١٤) ٠

فـ « كل » أن قدمت على النفى لفظا ، ولم تقع معمولة للفعل المنفى ، أفاد ذلك شمول النفى للفعل ٠ كقول ابراهيم النبهانى :

فكيف ، وكل ليس يعدو حمامه
ولا لامرىء عما قضى الله مزحل (١٥)

فتقديم لفظ «كل» على النفى أفاد الشمول ٠ والمعنى ان الموت لم يترك أحدا ٠ أما اذا تأخر النفى على لفظ « كل » لأفاد المعنى أنه سيكون هناك من لم يلحقه الموت وهذا محال ٠

---

(١٤) المختصر ج ١ / ٢٩٥ ٠ بتصرف ٠
(١٥) الحمام : قضاء الموت وقدره ٠ مزحل : مزحزح ٠

● سلب العموم :

أما اذا أخر لفظ الشمول والعمـــوم « كل » أو « جميـــع » عن النفى أى تقدم عليه النفى فان ذلك يفيد « سلب العموم » ونفى الشمول . كقول المتنبى :

ما كل ما يتمنى المـــرء يدركه تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن

والمعنى : أن ليس كل ما يتمناه المرء يحققه ويدرك مأربـــه فيه وانما يتحقق بعض ما يتمناه .

فاذا تأخر النفى على لفظ العموم أفاد أن كل أمنيات الفرد تتحقق وهذا مبالغ فيه .

يقول الشيخ عبد القاهر : « واعلم أنك اذا أدخلت كلا فى حيز النفى ، وذلك بأن تقدم النفى عليه لفظا أو تقديرا ، فالمعنى على نفى الشمول ، دون نفى الفعل ، والوصف نفسه . واذا أخرجت كلا من حيز النفى ، ولم تدخله فيه لفظا ولا تقديرا ، كان المعنى على أنك تبعت الجملة فنفيت الفعل والوصف عنها واحدا واحدا ، والعلة فى ذلك ، أنك اذا بدأت بـ « كل » كنت قد بنيت النفى عليه ، وسلطت الكلية على النفى ، وأعملتها فيه . واعمال معنى الكلية فى النفى يقتضى ألا يشذ شىء عن النفى فاعرفه » .

وكقول أبى العتاهية :

ما كل رأى الفتى يدعو الى رشد اذا بـــدا أمـــر مشـــكل فقف

والمعنى : أن رأى الفتى لا يكون صوابا فى كل الأحوال ، لكن هناك بعض الأمور التى يقصر فيها . والذى أفاد ذلك تقديم أداة النفى على لفظ العموم « كل » .

***

تأخير المسـند اليـه

يؤخر المسند اليه اذا كان المقام يقتضى تقديم المسند لأهميته ، ولأغراض بلاغية سنعرض لها بالتفصيل فى حينه ان شاء لله تعالى عنـد الحديث عن أحوال المسند .

***

تخريج المسند اليه خلاف مقتضى الظاهر

وقد يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، لاقتضاء الحال اياه وسنعرض لموضعين من ذلك :

١ ـ وضع المضمر موضع المظهر :

ويأتى ذلك على وجهين :

(١) أسلوب المدح والذم بنعم وبئس :

فتقول « نعم رجلا زيد » ، « وبئس عدوا الظلم » فمقتضى الظاهر هو الاظهار فتقول : « نعم الرجل زيد » « وبئس الظلم عدوا » • دون الاضمار لعدم تقدم ذكر المسند اليه وعدم وجود قرينة تدل عليه ، وانما عدل عنه واستخدم الضمير موضع الاسم الظاهر لغرض التعيين بعد الابهام •

ويكون استخدام «نعم»و«بئس» من وضع المضمر موضع المظهر ، اذا جعل المخصوص بالمدح أو الذم خبر لمبتدأ محذوف • أما اذا جعل المخصوص هذا مبتدأ ، و « نعم رجلا » خبره ، فيحتمل أن يكون الضمير عائدا الى المخصوص وهو متقدم تقديرا فحينئذ لا يكون من هذا الباب •

(٢) ضمير الشأن أو القصة :

فهو كل ضمير يتقدم مرجعه حكما ، ويتأخر لفظا ورتبة ، كما فى قوله تعالى : **« انه لا يفلح الكافرون »**(١٦) وقوله : **« فانها لا تعمى الأبصار »**(١٧) وقوله تعالى : **« وأسروا النجوى الذين ظلموا »** (١٨) فالضمير فى تلك الآيات « ضمير الشأن والحال » وهو ضمير غائب ليس له مرجع ، ولم تدل عليه قرينة ، وكان الأصل فى الاسلوب أن يعبر بالاسم الظاهر، ولكنه عدل الى ما يسمى بضمير الشأن أو القصة بغرض التفخيم •

وضمير الشأن كما يرى الخطيب القزوينى يؤتى به : « ليتمكن فى ذهن السامع ما يعقبه فان السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقى منتظرا

---

(١٦) المؤمنون : ١١٧ •   (١٧) الحج : ٤٦ •
(١٨) الأنبياء : ٣ •

لعقبى الكلام كيف تكون ؟ فيتمكن المسموع بعده فى ذهنه فضل تمكن ، وهو السر فى التزام تقديم ضمير الشأن أو القصة » (١٩) .

٢ ـ وضع المظهر موضع المضمر :

وقد يعكس فيوضع المظهر موضع المضمر . فان كان المظهر الذى وضع موضع المضمر اسم اشارة فيكون ذلك لأغراض بلاغية منها :

(١) لكمال العناية بتمييزه لاختصاصه بحكم غريب : كقول ابن الراوندى :

كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذى ترك الأوهام حائرة ... وصير العالم النحرير زنديقا .(٢٠)

والشاهد فى اسم الاشارة « هذا » . يقول صاحب الايضاح : « لأنه يعود الى الحكم السابق عليه ، وهو كون العاقل محروما ، والجاهل مرزوقا ، فالمقام للضمير لأن هذا الحكم غير محسوس ، واسم الاشارة موضوع للمحسوس ، والحكم البديع الذى أسند الى اسم الاشارة ، وهو جعل الأوهام حائرة والعالم النحرير زنديقا »(٢١) .

(٢) وقد يأتى البليغ باسم الاشارة بدلا من الضمير للتهكم بالسامع :

« كأن يقول لك أعمى : « أتشهد أن زيدا ضرب عمرو » فتقول له نعم ، ذلك الذى فى جانبك .. سواء كان فىَ جانبه أم لم يكن »(٢٢) .

(٣) واما للنداء على كمال بلادته بأنه لا يدرك غيرالمحسوس بالبصر .

(٤) أو لادعاء أنه أكمل ظهورا حتى كأنه محسوس بالبصر .

---

(١٩) بغية الايضاح ١ /١٤٧ وما بعدها .
(٢٠) الزنديق : الذى يبطن الكفر ، ويظهر الاسلام .
(٢١) بغية الايضاح ١ / ١٤٨ .
(٢٢) المصدر السابق ١ / ١٤٩ .

واذا كان المظهر الذى يوضع موضع المضمر غير اسم الاشارة فيكون ذلك :

(١) لزيادة التمكين كقوله تعـالى : « **قـل هو الله أحـد ، الله الصمد** » (٢٣) فلما كان المقام تعظيم الله سبحانه وتعالى والتقرير بأنـه الواحد لا شريك له ، وجب التصريح بلفظ الجلالة بدلا من الضمير .

وكقول البحترى :

صـنت نفسى عما يدنس نفسى ٭ وترفعـت عن جـدا جبس

فمقتضى الظاهر أن يقول : « عما يدنسها » لكنه عدل الى التعبـير بالاسم الظاهر للتأكيد .

(٢) أو يكون لغرض ادخال الروع فى نفس السامع وتربية المهابـة كقول الرئيس : « القائد يأمرك بكذا » بدلا من قوله « أنا آمرك بكذا » .

(٣) ويوضع المظهر موضع المضمر أيضا : للاستعطاف والاسترحام . كقول ابراهيم بن أدهم :

الـهى عبـدك العـاصى أتاكا ٭ مقـرا بالذنـوب وقـد دعـاكا
فان تغفر فأنـت لـذاك أهـل ٭ وان تطـرد ، فمن يرحـم سـواكا

فقد عبر بالاسم الظاهر « عبدك » بدلا من استخدام الضمير « أنا » لـا فى لفظ « عبدك » من التخضع واستحقاق الرحمة وترقب الشفقة .

***

---

(٢٣) الاخلاص : ١ ، ٢ .

الالتفـــــات

يعرفه البلاغيون بأنه:«التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة: التكلم ، الخطاب ، الغيبة . بعد التعبير عنه بطريق آخر منها » . اى ان مرجع الضمير فى الحالين واحد لكن البليغ يلجأ الى مجىء الضمير الثانى خلاف الأول عكس ما ينتظر السامع ، ولذا سمى ذلك « التفاتا » ولـه ستة صور :

١ ـ **الالتفات من التكلم الى الخطاب** : كقوله تعالى : **« اتبعـوا المرسلين . اتبعوا من لا يسالكم أجرا وهم مهتدون . ومالى لا أعبد الـذى فطرنى واليه ترجعون »**(١) .

مقتضى الظاهر « واليه أرجع » جريا على التعبير الذى ســبق « فطرنى » ، كما اعتبر البلاغيون أيضا أن هناك التفات من الخطـــاب فى قوله « اتبعوا » الى التكلم فى قوله « ومالى » .

٢ ـ **من التكلم الى الغيبة** (٢) : كقوله تعالى : **« انا أعطينـــاك الكوثر . فصل لربك وانحر »**(٣) .

ومقتضى الظاهر : « فصل لنا » . وكقوله تعالى : **« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا »**(٤) فقد ورد ضمير التكلم فى قوله تعالى : « يا عبادى » فكان مقتضى الظاهر ان يأتى أيضا بنفس ضمير التكلم فيكون « رحمتى » بدلا من الاسم الظاهر وهو ذكر لفظ الجلالة « رحمة الله » **لكنه التفـت عنه** الى ضمير الغيبة ليدخل الأمن فى قلوب الآيبين .

---

(١) يس : ٢٠ ـ ٢٢ .
(٢) يشمل الغيبة الاسم الظاهر .
(٣) الكوثر : ١ ، ٢ .
(٤) الزمر : ٥٣ .

٣ ـ من الخطاب الى التكلم :

كقوله تعالى : « **واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ، ان ربى رحيم ودود** »(٥) · فجاء الخطاب فى قوله تعالى : « واستغفروا » ثم التفت الى التكلم فى قوله تعالى « ربى » وقد جاء القول الكريم فى صورة الالتفات ليدل على أن الله واحد لا شريك له ·

وكقول عبدة بن الطيب :

طحا بك قلب فى الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب (٦)
يكلفنى ليلى وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب

التفت من الخطاب فى « بك » الى التكلم فى « يكلفنى » وكان الأصل أن يقول : « يكلفك » لكنه عدل عنه الى التكلم ·

٤ ـ من الخطاب الى الغيبة :

كقوله تعالى : « **حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين** »(٧) ·

ففى قوله تعالى « كنتم » جاء على طريق الخطاب ثم جاء الأسلوب فى قوله تعالى « **وجرين بهم** » **الى أسلوب الغيبة مع أن المخاطبين** حاضرون ، الا أن الله سبحانه وتعالى عدل عن أسلوب الخطاب لأنه سبحانه اعتبرهم فى مقام الغائبين للتشهير بهم ، وكأنه يروى قصتهم لغيرهم ·

٥ ـ من الغيبة الى التكلم :

كقوله تعالى : « **والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه** »(٨) ·

فقد جرى الأسلوب فى قوله تعالى « **والله الذى أرسل** » على طريق الغيبة ثم انتقل الى أسلوب التكلم فى قوله تعالى « **فسقناه** » وكان

---

(٥) هود : ٩٠ · (٦) طحا : ذهب واتلف ·
(٧) يونس : ٢٢ · (٨) فاطر : ٩ ·

مقتضى الظاهر : « فساقه » لكنه عدل عن أسلوب الغيبة الى التكلم ليثير الانتباه ويلفت الى قدرته سبحانه جل وعلا .

٦ ـ من الغيبة الى الخطاب :

كقوله تعالى : « **الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . اياك نعبد واياك نستعين** »(٩) فقد جاء أسلوب الغيبة فى قوله تعالى « **الحمد لله** » لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة . ثم انتقل الى الخطاب فى قوله « **اياك نعبد** » وكان مقتضى الظاهر « اياه » .

يقول القزوينى فى فضل الالتفات : « واعلم أن الالتفات من محاسن الكلام ووجه حسنه على ما ذكر الزمخشرى هو ان الكلام اذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع ، وأكثر ايقاظا للاصغاء من اجرائه على أسلوب واحد . وقد تختص مواقعه بلطائف كما فى سورة الفاتحة ، فان العبد اذا افتتح حمد مولاه الحقيق بالحمد عن قلب حاضر ، ونفس ذاكرة لما هو فيه بقوله « **الحمد لله** » الدال على اختصاصه بالحمد ، وأنه حقيق به ـ وجد من نفسه لا محالة محركا للاقبال عليه ، فاذا انتقل على الافتتاح الى قوله « **رب العالمين** » الدال على انه مالك للعالمين لا يخرج منهم شىء عن ملكوته وربوبيته ، قوى ذلك المحرك ، ثم اذا انتقل الى قوله : « **الرحمن الرحيم** » الدال على انه منعم بأنواع النعم جلائلها ودقائقها تضاعفت قوة ذلك المحرك ، ثم اذا انتقل الى خاتمة هذه الصفات العظام ، وهى قوله : « **مالك يوم الدين** » الدال على انه مالك الأمر كله يوم الجزاء تناهت قوته وأوجب الاقبال عليه وخطابه بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات . وكما فى قوله تعالى : « **ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول** »(١٠) لم يقل « واستغفرت لهم » وعدل عنه الى طريق الالتفات تفخيما لشأن رسول الله ﷺ وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعته من اسمه الرسول من الله بمكان »(١١) .

* * *

(٩) الفاتحة : ٢ ـ ٥ . (١٠) النساء : ٦٤ .
(١١) بغية الايضاح ١/١٥٧ ـ ١٥٨ .

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى

يلجأ البليغ الى التعبير عن المستقبل بلفظ المــاضى تنبيها على تحقق وقوعه ٠

كقوله تعالى : « **ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله** »(١٢) ٠ فالفعل « صعق » المراد بل « فيصعق » لأن الحدث لم يقع بعد لكنه عبر عنه بالمــاضى اشارة الى تحقق وقوعه لأنه لا محالة واقع ٠

وكقوله تعالى : « **ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا** »(١٣) حيث عبر بالفعل المــاضى « حشرناهم » فكأن الفعل قد وقع فعلا ٠

وكقوله تعــالى : « **ونادى أصحاب الأعراف** »(١٤) فقد جعــل المتوقع الذى لا بد من وقوعه بمنزلة الواقع ٠

وحكم الفعل المــاضى الفعل المضارع ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ٠ فمثال اسم الفاعل كقوله تعــالى : « **ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود** »(١٥) ٠

❋ ❋ ❋

التعبير عن المــاضى بلفظ المضارع

ذلك كقوله تعالى : « **والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا** »(١٦) ٠

فقد عبر بقوله « فتثير » وكان مقتضى الظاهر أن يقال : « اثارت » ، لكنه عدل عن التعبير بالفعل المــاضى الى المضارع ليدل على الاستمرار فى الحــدث ٠

❋ ❋ ❋

---

(١٢) الزمر : ٦٨ ٠
(١٣) الكهف : ٤٧ ٠
(١٤) الأعراف : ٤٨ ٠
(١٥) هود : ١٠٣ ٠
(١٦) فاطر : ٩ ٠

الفصل الثالث

أحوال المسند

المسند هو : المحكوم به وهو الفعل التام ، واسم الفعل ، والمصدر النائب عن فعله والمبتدأ المكتفى بمرفوعه ، وخبر المبتدأ ، وما أصله خبر المبتدأ ، والقيود ، والمفاعيل وغيره من المواضع مما افضت الحديث فيه عند الحديث عن أحوال الاسناد ٠

وقد تعرض البلاغيون للأغراض البلاغية التى يكون عليها الخبر من ذكر وحذف ، وتقديم وتأخير وتعريف وتنكير وستتعرض لهذه المواضع بالتفصيل كل فى حينه ان شاء الله تعالى ٠

١ ـ حذف المسند

١ ـ يحذف المسند بغرض التخييل لأقوى الدليلين اللفظى أو المعنوى ، أو للاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر اما لضيق المقام ٠

كما فى قول الضابىء بن الحارث البرجمى :

ومن يك أمسى بالمدينة رحله   فانى وقيار بها لغريب

قيار : اسم فرس للشاعر او جمل ٠ رحله : المنزل والمأوى ٠ فالمسند اليه « فانى » ، والمسند « لغريب » ، وقيار : اسم معطوف على محل « اسم ان » فى قوله « انى » وهو المبتدأ ، والتقدير : انى لغريب بها وقيار غريب ٠

وقد حذف الخبر الثانى « غريب » لضيق المقام ، ولدلالة القول عليه حيث أراد الشاعر ان يسوى بينه وبين جملة « قيار » فما يعانيه من آلام الفراق والبعد عن الأحباب كأن قيار يحس بنفس آلام الشاعر ومقاساته ٠

وكقول الشاعر (١) :

نحـن بما عنـدنا وانت بمـــا عنـدك راض والـــرأى مختلف

اى : نحن بما عندنا راضون . فالمسند اليه : « نحن بما عنـدنا » والمســند « راضون » قد حذف لدلالة الخبر الثانى عليــه ذلك عكس البيت الســابق .

ومثله قوله تعالى : **« والله ورسوله أحق أن يرضوه »**(٢) .

والمعنى : « والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك » فالخبر الثانى للمبتدأ المعطوف عليه « ورسوله » محذوف للايجاز بدون ضيق المقام .

يقول القزوينى : « ويجوز أن يكون جملة واحدة ، وتوحيد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا الله ، ورضا رسوله ، فكأنا فى حكم مرضى واحد ، وذلك كقولك : زيد منطلق وعمرو ، أى وعمرو كذلك . وعليه قوله تعـــالى : **« واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهـن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن »**(٣) .

أى : « واللائى لم يحضن مثلهن » (٤) . فقد حذف المسند لدلالة ما سبقه عليه وكذلك للايجاز .

٢ ــ وقد يكون الحذف لاتباع استعمال الوارد وضيق المقـــام مع الاحتراز عن العبث .

كقول الأعشى :

ان محـــــلا وان مرتحـــــلا وان فى السفر اذ مضوا مهلا(٥)

---

(١) هو لعمرو بن امرىء القيس الخزرجى أو لقيس بن الخطيم .

(٢) التوبة : ٦٢ . (٣) الطلاق : ٤ .

(٤) البغية ١٧٣/١ .

(٥) محلا ومرتحلا : مصدارن ميميان بمعنى الحلول والارتحال . والسفر : اسم جمع أى المسافرين ، والمراد بهم الموتى . مهلا : مصدر بمعنى الامهال وطول الغيبة .

والمعنى : ان لنا فى الدنيا محلا ، وان لنا عنها ارتحالا لا يكون له عودة ، ذلك لأن الذين مضوا من قبل ـ أى الموتى ـ لا تكون لهم عودة . فحذف خبر « ان » لتكرارها وتعدد اسمها .

ومما حذف للاحتراز عن العبث أيضا قوله تعالى : « **قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى اذن لأمسكتم خشـية الانفاق** »(٦) والتقدير : لو تملكون تملكون . فأضمر « تملك » الأولى ، وعبر عن الضمير المتصل وهو : « الواو » بذكر « أنتم » لسقوط ما يتصل به من اللفظ . فـ « أنتم » المذكورة فى الآية فاعل الفعل المضمر « وتملكون » .

يقول الخطيب نقلا عن الزمخشرى : « ان قوله تعالى « **أنتم تملكون** » فيه دلالة على الاختصاص ، وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ »(٧) .

ومما يحتمل الوجهين : أى حذف المسند اليه أو المسند :

قوله تعـالى : « **بل سولت لكم أنفسكم أمرا ، فصبر جميل** »(٨) وقوله تعالى : « **سورة أنزلناها** »(٩) . وقوله تعـالى : « **وأقسـموا بالله جهـد أيمـانهم لئن أمرتهم ليخرجن ، قل لا تقسـموا ، طاعة معـروفة** »(١٠) .

فكل من هذه الأقوال الكريمة يحتمل حذف المسند اليه ، وحذف المسند .

فالتقدير فى حذف المسند اليه تقول : « فأمرى صبر جميل » وفى حذف المسند تقول : « فصبر جميل أجمل » . والتقدير فى حذف المسند اليه فى الآية الثانية : « هذه سورة أنزلناها » ، وفى حذف المسند تقول : « أو فيما أوحينا اليك سورة أنزلناها » . وفى الثالثة التقدير فى حذف المسند اليه : « وأمركم ، أو الذى يطلب منكم طاعة معروفة لا يشك فيها ولا يرتاب » . أو « طاعتكم طاعة معروفة » . والتقدير فى حذف المسند : « طاعة معروفة امثل » .

---

(٦) الاسراء : ١٠٠ .
(٧) البغية ١/١٧٤ .
(٨) يوسف : ٨٣ .
(٩) النور : ١ .
(١٠) النور : ٥٣ .

ومما يحتمل الوجهين أيضا قوله تعالى : « **ولا تقولوا ثلاثة** »(١١) والتقدير فى حذف المسند ايه : « ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة » ٠ وان كان هذا التقدير قد رد لأن فيه تقرير لثبوت وجود آلهة ، لأن النفى انما يكون للمعنى المستفاد من الخبر دون معنى المبتدأ ٠ هذا بالاضافة الى قوله تعالى بعده : « **انما الله اله واحد** »(١٢) يناقضه ٠ فيجوز ان يكون المسند المحذوف والتقدير : « ولا تقولوا لنا أو فى الوجود آلهة ثلاثة » ٠ فجملة : « لنا فى الوجود » خبر مقدم وهو محذوف ٠ و « آلهة » : مبتدأ و « ثلاثة » صفة لمبتدأ محذوف ٠

وفى تقدير أن المسند اليه هو المحذوف يكون التقدير : « ولا تقولوا الله والمسيح وأمه ثلاثة » أى : لا تعبدوهما كما تعبدون الله » ٠

ويشترط فى الحذف ان تكون له قرينة ، كوقوع الكلام جوابا عن سؤال اما محقق(١٣) : كقوله تعالى : « **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله** » (١٤) ٠ أى خلقهن الله ٠ فحذف المسند « خلقهن » ٠

وكقوله تعالى : « **ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله** »(١٥)٠والتقدير «نزله الله» أى ليقولن نزله الله ولكن حذف الخبر لوقوعه ووجوده فى جواب السؤال المذكور فى القول الكريم ٠

واما مقدر : كقول الحارث بن ضرار(١٦) :

ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح(١٧)

---

(١١) النساء : ١٧١ ٠ (١٢) النساء : ١٧١ ٠

(١٣) السؤال المحقق هو المذكور فى الكلام ، والمقدر ما لا يذكر ٠

(١٤) لقمان : ٢٥ ، والزمر ٣٨ ٠

(١٥) العنكبوت : ٦٣ ٠ (١٦) قيل ايضا انه للحارث ٠

(١٧) الضارع : الذليل ٠ والمختبط : الذى يأتى اليك للمعروف من غير وسيلة ، وقوله : تطيح بمعنى تذهب وتهلك ٠ والطوائح جمع مطيحة على غير القياس وقياسه مطاوح أو مطيحات ٠

قوله : « لبيك » بالبناء للمجهول فكأن هناك سؤالا مقدرا : من يبكيه ؟ فتكون الاجابة : « ضارع » أى يبكيه ضارع وقد حذف فعل « ضارع » هذا وعبر باسم الفاعل ليشير الى مدى حاجة الناس له ، وأنه كان فى عون الذليل والمحتاج .

وكقوله تعالى : « **يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال** »(١٨) فبنى الفعل للمجهول فيفيد بذلك اسناد الفعل مرتين ، كأن هناك سؤال مقدر : من يسبحه ؟ فيقال : يسبحه رجال . فحذف الفعل « يسبحه » المسند لوقوعه فى جواب سؤال مقدر وهو ما ذكرناه ـ أى من يسبحه ؟

***

---

(١٨) النور : ٣٦ ، ٣٧

٢ ـ ذكر المسند

يذكر المسند لأغراض بلاغية منها :

١ ـ زيادة الايضاح والتقرير : كقوله تعالى : « **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم** »(١٩) ٠ فقد ذكر المسند فى قوله تعالى : « **خلقهن** » وكان من الممكن أن يحذف لدلالة السؤال الذى يسبقه عليه الا أنه ذكر مرة أخرى لزيادة التقرير والايضاح ٠

٢ ـ للتعريض بغباوة السامع : كما فى قولك : « محمد نبينا » فى جواب سؤال : من نبيكم ؟

٣ ـ واما ليتعين كونه اسما مستفاد منه الثبوت والدوام ، أو كونه فعلا فيستفاد منه التجدد أو كونه ظرفا او جارا ومجرورا فيفيد احتمال الثبوت والتجدد ٠

فمثال كونه اسما قول النضر بن جؤية :

لايألف الدرهم المضروب صرتنا   لكن يمر عليها وهو « منطلق »

فجاء المسند : « منطلق » اسما ليفيد بأن الدرهم لا يمكث فى صرتهم فهو لا يكنز ، وانما يكون دائم الانطلاق ولا يلبث أن ينفق على المحتاج فهذا أدعى لوصفهم بشدة الكرم والجود ٠

وكقوله تعالى : « **وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد** »(٢٠) فأفاد معنى اسم الفاعل الثبوت على هيئة واحدة وهى البسط ، أما لو عبر بالفعل « يبسط » لأفاد أن الكلب دائم الحركة فهو يقبض ويبسط وذلك غير مراد من الوصف ٠

---

(١٩) الزخرف : ٩ ٠   (٢٠) الكهف : ١٨ ٠

ومثال كونه فعلا قول طريف بن تميم العنبرى :

او كلما وردت عكاظ قبيلة   بعثوا الى عريفهم يتوسم(٢١)

فالفعل : « يتوسم » أفاد أن التأمل وطول التفحص والنظر كان متجددا ٠

* * *

٣ ـ أغراض تأخير المسند

أما تأخير المسند فلكون ذكر المسند اليه أهم ، فاغراض تأخير المسند هى ما سبق من أغراض تقديم المسند اليه ٠

* * *

---

(٢١) عكاظ : سوق بين نخلة والطائف ٠ والعريف : المقيم الذى يقوم بأمر القوم ٠

٤ ـ تقديم المسنــد

يقدم المسند لأغراض بلاغية منها :

١ ـ لتخصيصه بالمسند اليه:كقوله تعالى : «**لكم دينكم ولى دين**»(٢٢) فأفاد التقديم التخصيص .

ومثله قوله تعالى : « **لا فيها غول ولا هـم عنهـا ينــزفون** »(٢٣) فالتقديم للجار والمجرور أفاد قصر صفات هذا الخمر على خمر الجنة فقط فهو بخلاف خمور الدنيا التى تغتال العقول وتذهـب بها .

٢ ـ للتنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت : كقول حسان بن ثابت(٢٤) فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

له هـــمم لا منتهـــى لكبــارها وهمتـــه الصغرى أجل من الدهـر

من قصيدة مطلعها :

له راحة لو أن معشــار جودهــا على البر كان أنــدى من البحـر

فقدم الشاعر الجار والمجرور «له همم» ولم يقل «همم له» لأنه لو قدم المسند اليه « همم » على المسند « له » لتوهم أنه نعت وليس خبرا .

ومثله قوله تعالى : «**ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين**»(٢٥) .

فقدم الجار والمجرور « لكم » .

٣ ـ وأما للتفاؤل كقول الشاعر :

سعدت بغرة وجهـــك الأيـــام وتزينـــت ببقـــائك الأعـــوام

---

(٢٢) الكافرون : ٦ . (٢٣) الصافات : ٤٧ .

(٢٤) قيل انه لبكر بن النطاح . (٢٥) البقرة : ٣٦ .

٤ ـ التشويق الى ذكر المسند : كقول محمد بن وهيب فى مدح أبى اسحاق المعتصم :

ثلاثة تشرق الدنيـــا ببهجتهـــا   شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر

فالمسند قوله : « ثلاثة » وهو موصوف بقوله : « تشرق » ، والمسـند اليه المتأخر قوله : « شمس الضحى ، وأبو اسحاق ، والقمر » .

يقول العلامة البنانى : « أضاف الشمس الى الضحى لأنه ساعة قوتها مع عدم شدة ايذائها ، وقوله : « أبو اسحاق » كنية المعتصم ، ولا يخفى حسن توسطه بين الشمس والقمر للاشارة الى أنه خير منهما لأن خير الأمور أوساطها »(٢٦) .

وكقول أبى العلاء المعرى :

وكالنـار الحيـــاة فمن رمـاد   أواخرهـا وأولهـــا دخـــان

فقد شبه الشاعر الحياة بالنار فى أحوالها الثلاثة ، وهو أولها وآخرها وهما دخان ، أما اللهب الحقيقى فهو ما بين اشتعالها وانطفائها ، وهـذا كالحياة فان الانسان فى أول حياته يكون الصبا وآخرها يكون الشيب وبين ذلك يكون الشباب وهو المعتد به .

* * *

(٢٦) شرح البنانى على مختصر السعد ٣٧١/١ .

٥ ـ تنكير المسند

ينكر المسند لأغراض بلاغية منها :

١ ـ الا يراد به حصر ولا عهد (٢٧) اللذان يستفادان من التعريف فاذا لم ترد أيا منهما نكرت المسند فتقول : « زيد كاتب وعمرو شاعر » ٠

٢ ـ وقد ينكر أيضا للتفخيم كما فى قوله تعالى:«**هدى للمتقين**»(٢٨) فقوله تعالى : « **هـدى** » خبر مبتدأ محذوف أو خبر « **ذلك الكتاب** » ٠

٣ ـ كما يفيد التنكير التحقير كما فى قول قيس بن جروة يخـاطب عمرو بن هند :

غدرت بأمر كنت أنت دعوتنـــا اليه وبئس الشيمة الغدر بالعهد
وقد يترك الغدر الفتى ، وطعامه اذا هو أمسى حلبة من دم الفصـد

فجاء قوله : « حلبة » نكرة لقصد التحقير أو التقليل وغير ذلك من المواضع التى يتطلبها المقام ٠

* * *

---

(٢٧) « يعرف المسند اذا كان بأداة عهدية ، أو بمضمر ، أو اسم اشارة أفاد العهد واذا كان بأداة جنسية أو بموصول أفاد الاستغراق المستلزم للحصر ٠ كما قد يفيد غير الحصر أيضا » البغية ١/٢٠٢ ٠

(٢٨) البقرة : ٢ ٠

٦ ـ دواعى تخصيص المسند
بالاضافة أو الوصف أو ترك التخصيص

أما دواعى تخصيص المسند بالاضافة فلكون الفائدة به اتم واكمل كقولك : « سيبويه عالم نحو » ، وفى الوصف تقول : « خالد رجل محارب » .

وقد يقصد البليغ الى ترك تخصيص المسند بالاضافة أو الوصف لمانع من تربية الفائدة ، كارادة عدم اعلام السامعين بهذا التخصيص لعلة ما كالخوف من شىء ، توخياً للحذر أو الغيرة وغير ذلك من المواضع التى توجب ترك التخصيص لغرض فى نفس المتكلم .

* * *

٧ ـ تعريف المسند

يعرف المسند لدواعى عديدة :

١ ـ اما للحكم على أمر معلوم له باحدى طرق التعريف المعلومة ـ كالاضمار والعلمية والموصولية ، واسم الاشارة ـ بأمر آخر معلوم له كذلك باحدى طرق التعريف سواء اتحد طريقا التعريف كقولك : « الراكب هو المنطلق » فعرف كلا من الطرفين المسند اليه والمسند باللام .

أو اختلفا كقولك : « زيد هو المنطلق » ، فجاء المسند اليه اسماً علماً ، والمسند معرفاً باللام وذلك لأنه ليس فى كلام العرب جملة خبرية مؤلفة من مسند اليه نكرة ومسند معرفة .

٢ ـ واما لافادة لازم الحكم على أمر معلوم بآخر مثله : وذلك بأن يكون للشىء صفتان من صفات التعريف ، ويكون السامع عالماً بواحدة دون الأخرى ، فحينئذ يقدم ما يعلمه السامع ويجعله مسنداً اليه ، وتجعل الصفة الأخرى المجهولة له هى المسند فتفيد السامع ما كان يجهله من اتصافه بالثانية . كما اذا كان السامع يعرف « علياً » بعينه لكنه لا يعرف أنه « شاعر » وأردت أن تعرفه بأنه شاعر فتقول له : «على شاعر» .

أو يكون السامع عالما بالصفتين كل على حدة لكنه لا يعلم النسبة بينهما : بأن يكون يعلم أن هناك شاعر ، كما يعرف رجلا يسمى « علياً » لكنه لا يعلم أنه هو الشاعر ، فحينئذ تقول له : « الشاعر على » .

يقول السعد : « وفى هذا تنبيه على أن كون المبتدأ والخبر معلومين لا ينافى افادة الكلام للسامع مع فائدة مجهولة ، لأن العلم بنفس المبتدأ والخبر لا يستلزم العلم باسناد أحدهما الى الآخر »(٢٩) .

ـ والمسند المعرف بلام الجنس قد يفيد قصر المسند على المسند اليه : اما تحقيقاً كقولك : « شوقى الأمير » اذا لم يكن أمير سواه . فتقصر صفة الامارة على شوقى قصراً حقيقياً .

واما ادعاء مبالغة لكمال ذلك الشىء فى الجنس كقولك : « خالد الشجاع » أى المتكامل فى الشجاعة لقصور غيره فى تلك الصفة .

والجنس قد يبقى على اطلاقه كما مر ، وقد يقيد بوصف أو حال أو ظرف أو مفعول ، أو نحو ذلك .

كقول الأعشى :

هو الواهب المائة المصطفاة   اما مخاضاً واما عشاراً

فجاء قصر الهبة من المائة عند الشاعر فى حالين فقط حال كونها مخاضاً أو عشاراً وليس مطلقاً فى كل حال من حالاتها ، أو كان الاطلاق من الابل أو غيرها .

فاللام فى قوله : « الواهب المائة المصطفاة » للجنس ، فالهبة هنا بمنزلة النوع .

ـ وقد يكون المعرف بلام الجنس لا يفيد القصر أحياناً كقول الخنساء :

اذا قبح البكاء على قتيل   رأيت بكاءك الحسن الجميلا

---

(٢٩) تهذيب السعد ١٣٣/٢ .

فالخنساء تريد أن تقول : انه اذا كان البكاء على قتيل قبيح ، فانـه يحسن على اخيها صخر . والتعريف باللام فى لفظ « الحسن » لا يراد منه التخصيص ، وانما مجرد التقرير والتثبيت للحسن فى بكائها على اخيها صخر .

يقول السـعد : « اذا جعـل المعرف بلام الجنس مبتدأ كقولك : « الأمير زيد » و « الشجاع عمرو » لا تفاوت بينهما وبين ما تقدم فى افادة القصر ، فالمعرف بلام الجنس ان جعل مبتدأ فهو مقصور على الخبر سوا كان الخبر معرفة أو نكرة ، وان جعـل خبرا فهـو مقصـور على المبتدأ »(٣٠) .

* * *

(٣٠) مختصر السعد ١/١٣٤ .

الفصل الرابع

أحوال متعلقات الفعل

الفعل مع المفعول كالفعل مع الفاعل ، اذ أن لكل منهما افادة تلبس بالفعل . كما يلابس الفعل المفعول لأجله ، والمصدر ، والزمان ، والمكان ، والحال ، والتمييز والظرف والجار والمجرور وغير ذلك . والمسند هو الفعل ، لذا فالمسند يلابس هذه المتعلقات .

يقول الخطيب : « فحال الفعل مع المفعول كحاله مع الفاعل ، فكما أنك اذا أسندت الفعل الى الفاعل كان غرضك أن تفيد وقوعه منه ، لا أن تفيد وجوده فى نفسه فقط ، كذلك اذا عديته الى المفعول كان غرضك أن تفيد وقوعه عليه ، لا أن تفيد وجوده فى نفسه فقط . فقد اجتمع الفاعل والمفعول فى ان عمل الفعل فيهما انما كان ليعلم التباسه بهما ، فعمل الرفع فى الفاعل ليعلم التباسه به من جهة وقوعه منه ، والنصب فى المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه ، أما اذا أريد الاخبار بوقوعه فى نفسه من غير ارادة أن يعلم ممن وقع فى نفسه أو على من وقع منه فالعبارة عنه أن يقال : « كان ضرب » أو وقع أو وجد ، او نحو ذلك من الفاظ تفيد الوجود المجرد » (١) .

وتدور موضوعات هذا الباب فى ثلاثة مباحث :

الأول : حذف المفعول به .

الثانى : تقديم المفعول ونحوه من المتعلقات على الفعل .

الثالث : تقديم بعض معمولات الفعل على بعض .

---

(١) بغية الايضاح : ٢١٥/١ .

أولا ــ حذف المفعول به :

الفعل المتعدى اذا أسند الى فاعله دون ذكر مفعول به له فهو على ضربين :

الضرب الأول : ان ينزل منزلة الفعل اللازم ، وذلك اذا كان الغرض مجرد اثبات المعنى فى نفسه للفاعل أو نفيه عنه من غير اعتبار تعلق عمومه وخصوصه ، ولا اعتبار تعلقه بمن وقع عليه فلا يذكر له مفعول ولا يقدر أيضاً ، لأن المقدر فى حكم المذكور .

يقول عبد القاهر : « ان حال الفعل مع المفعول الذى يتعدى اليه حاله مع الفاعل ، كما انك اذا قلت : « ضرب زيد » فأسندت الفعل الى الفاعل ، كان غرضك من ذلك أن تثبت الضرب فعلا له ، لا أن تفيد وجود الضرب فى نفسه وعلى الاطلاق . كذلك اذا عديت الفعل الى المفعول فقلت : « ضرب زيد عمراً » كان غرضك أن تفيد التباس الضرب الواقع من الأول بالثانى ، ووقوعه عليه ، فقد اجتمع الفاعل والمفعول فى أن عمل الفعل فيهما انما كان من أجل ان يعلم التباس المعنى الذى اشتق منه بهما . فعمل الرفع فى الفاعل ليعلم التباس الضرب به من جهة وقوعه منه والنصب فى المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه »(٢) .

ويقول ايضا : « اعلم أن أغراض الناس تختلف فى ذكر الأفعال المتعدية ، فهم يذكرونها تارة ، ومرادهم ان يقتصروا على اثبات المعانى التى اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين . فاذا كان الأمر كذلك كان الفعل المتعدى كغير المتعدى مثلافى أنك لا ترى له مفعولا، لا لفظا ، ولا تقديرا . مثال ذلك : قول الناس : « فلان يحل ويعقد ، ويأمر وينهى ، ويضر وينفع » ، وكقولهم : « هو يعطى ويجزل ، ويقرى ويضيف » . والمعنى فى جميع ذلك على اثبات المعنى فى نفسه للشىء على الاطلاق ، وعلى الجملة من غير أن يتعرض لحديث المفعول حتى كأنك قلت : صار اليه الحل والعقد ، وصار بحيث يكون حل وعقد ، وامر ونهى ، وضر ونفع ، وعلى هذا القياس . قوله تعالى :

---

(٢) دلائل الاعجاز ص ١٠١ .

« **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** »(٣) . المعنى : هل يستوى من له علم ومن لا علم له من غير أن يقصد النص على معلوم .

وكذلك قوله تعالى : « **وأنه هو أضحك وأبكى . وأنه هو أمات وأحيا** »(٤) وقوله : « **وأنه هو أغنى وأقنى** »(٥) . والمعنى هو الذى منه الاحياء والاماتة ، والاغناء والاقناء ، وهكذا كل موضع كان القصد فيه أن يثبت المعنى فى نفسه فلا للشىء وأن يخبر بأن من شأنه أن يكون منه أو لا يكون منه فان الفعل لا يعدى هناك لأن تعديته تنقض الغرض وتغير المعنى »(٦) .

وهذا الضرب قسمان :

الأول : وهو ما يجعل الفعل فيه مطلقاً كناية عن الفعل متعلقاً بمفعول مخصوص ، دلت عليه قرينة أولا ، وهذا القسم هو ما ذكره عبد القاهر قسماً ثانياً يتبع القسم الأول . ومثال ذلك قول الشاعر :

شجو حساده وغيظ عداه　　أن يرى مبصر ويسمع واع

فقوله : يرى مبصر ، ويسمع واع ، كناية عن فعل متعلق بمفعول مخصوص وهو يرى مبصر محاسنه ، ويسمع واع أخباره ، يقول السعد : « فالحاصل أنه نزل «يرى»و«يسمع»منزلة اللازم[أى من يصدر عنه السماع والرؤية من غير تعلق بمخصوص هو محاسنه وأخباره بادعاء الملازمة بين مطلق الرؤية ، ورؤية آثاره ومحاسنه ، وكذا بين مطلق السماع وسماع أخباره للدلالة عن أن آثاره وأخباره بلغت من الكثرة والاشتهار الى حيث يمتنع خفاؤها فيبصرها كل راء ، ويسمعها كل واع فذكر الملزوم وأراد اللازم على ما هو طريق الكناية ، ففى ترك المفعول والاعراض عنه اشعار بأن فضائله قد بلغت من الظهور والكثرة الى حيث يكفى مجرد أن يكون ذو سمع وذو بصر ، حتى يعلم أنه المنفرد بالفضائل ، ولا يخفى أن يفوت هذا المعنى عند ذكر المفعول أو تقديره »(٧) .

---

(٣) الزمر : ٩ .

(٤) النجم : ٤٣ ، ٤٤ .

(٥) النجم : ٤٨ .

(٦) دلائل الاعجاز ص ١٠٢ .

(٧) مختصر السعد ٣٧٨/١ بتصرف .

ومثله قول الشاعر :

فلو أن قومـــى أنطقتنى رماحهم   نطقت ولـكن الرماح أجرت

يقول الشاعر : لو أن قومه انتصروا فى هذه الحرب لكان ذلك سبباً لنطق الشعراء ، ومديحهم لقوتهم ونصرهم ، ولكنهم تخاذلوا فانهزموا فحبست رماحهم السنة الشعراء وغيرهم عن المديح · فالفعل « أجر » والفاعل : ضمير مستتر يعود على الرماح ، والمفعول هو الشاعر ، فلما حذف ضمير المتكلم فهم منه أن الرماح قد أجرت الشاعر ، وغيره ، وليس الشاعر وحده ·

يقول عبد القاهر : « أجرت » فعل متعد ، ومعلوم انه لو عداه لما عداه الى ضمير المتكلم نحو : « ولكن الرماح أجرتنى » فانه لا يتصور أن يكون هاهنا شىء آخر يتعدى اليه لاستحالة ان يقول : « فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم » ثم يقول : « لكن الرماح أجرت غيرى » · الا أنك تجد المعنى يلزمك الا تنطق بهذا المفعول ، ولا تخرجه الى لفظك ، والسبب فى ذلك ان تعديتك له توهم ما هو خلاف الغرض ، وذلك ان الغرض هو : أن يثبت انه كان من الرماح اجرار وحبس الألسن عن النطق ، وأن يصحح وجود ذلك · ولو قال : « أجرتنى » جاز أن يتوهم أنه لم يعن بأن يثبت للرماح اجرار بل الذى عناه أن يتبين انها أجرته ، فقد يذكر الفعل كثيرا ، والغرض منه ذكر المفعول ، ولم ينطق بالمفعول لتخلص العنـاية لاثبات الاجرار للرماح ويصح انه كان منها وتسلم بكليتها لذلك »(٨) ·

الضرب الثانى : أنه قد ينزل الفعل المتعدى منزلة اللازم ، فلا ينظر الى المفعول او يقدر بل يراد أصل معنى الفعل مطلقاً كقوله تعالى : **« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »**(٩) أى من يحدث له معنى العلم ومن لا يحدث له هذا المعنى ·

---

(٨) دلائل الاعجاز ص ١٠٤ بتصرف ·
(٩) الزمر : ٩ ·

أى دون اعتبار تعلقه بمعلوم عام أو خاص ، فالغرض اثبات معنى العلم مطلقا اثباتا فى قوله : « **الذين يعلمون** » ونفيا فى قوله : « **الذين لا يعلمون** » .

وكذلك قوله : « **وأنه هو أضحك وأبكى . وأنه هو أمات وأحيا** »(١٠) فالمراد هو اثبات معنى الأفعال السابقة من اضحاك وابكاء واماتة واحياء لله سبحانه وتعالى دون تعلق ذلك بمعلوم عام أو خاص .

أما الضرب الثانى الذى يذكر فيه الفعل المتعدى مسندا لفاعله اثباتا أو نفياً مع تعلقه بمفعول غير مذكور ، حينئذ وجب تقديره بحسب القرائن الدالة على تعين المفعول ان عاماً فعام ، وان خاصاً فخاص ، ولما وجب تقدير المفعول تعين أنه مراد وقد حذف لغرض . فمن تلك الأغراض :

١ ـ البيان بعد الابهام كما نجد فى فعل المشيئة والارادة ونحوهما اذا وقع شرطاً فان الجواب يبينه ويدل عليه وانما يحذف اذا لم يكن فى تعلقه بمفعوله غرابة . مثل قول الله تعالى : « **فلو شاء لهداكم أجمعين** » (١١) أى لو شاء هدايتكم لهداكم أجمعين . فانه لما قال الله تعالى : « شاء » علم السامع أن هناك شيئا علقت المشيئة عليه لكنه مبهم فاذا جىء بجواب الشرط صار مبيناً وهذا أوقع فى النفس . وكذلك قوله تعالى : « **فان يشأ الله يختم على قلبك** »(١٢) . فتقدير المفعول المحذوف تقديره : « فان يشأ الله الختم » . ومثله قوله تعالى : «**من يشأ الله يضلله** »(١٣) .

يقول عبد القاهر : « وذلك أن فى البيان اذا ورد بعد الابهام ، وبعد التحريك له أبداً لطفاً ونبلا لا يكون اذا لم يتقدم ما يحرك وأنت اذا قلت : « لو شئت » علم السامع أنك قد علقت هذه المشيئة فى المعنى بشىء فهو يضع فى نفسه أن هاهنا شيئا تقتضى مشيئته له أن يكون أو لا يكون فاذا قلت : « لم تفسد سماحة حاتم » عرف ذلك الشىء »(١٤) .

٢ ـ أما اذا كان فى تعلق الفعل بالمفعول غرابة فانه يذكر لتقريره فى نفس السامع .

---

(١٠) النجم : ٤٣ ، ٤٤ . (١١) الأنعام : ١٤٩ .
(١٢) الشورى : ٢٤ . (١٣) الأنعام : ٣٩ .
(١٤) دلائل الاعجاز ، المكتبة العربية ، الطبعة الاولى ، ص ١٠٨

مثل قول الشاعر :

ولو شــئت أن أبكى دما لبكيتــه   عليــه ولكن ســاحة الصبر أوسع

والشاهد فى قوله : « لو شئت أن أبكى دماً » فتعلق فعل المشيئة ببكاء الدم غريب ولذا وجب ذكره ليعلمه السامع فى نفسه ويأنس به ٠

٣ ـ واما يحذف المفعول لدفع توهم ارادة غير المراد ابتداء ٠

كقول الشاعر :

وكم ذدت عنى من تحامل حادث   وسورة أيام حززن الى العظم

ذدت : أى دفعت ٠ وسورة أيام : أى شدتها وصولتها ٠ حززن : أى قطعن ٠ والشاهد : هو حذف المفعول « اللحم » ذلك أنه لو ذكر اللحم لربما توهم أن الحز لم ينته الى العظم ، وانما كان فى بعض اللحم ، فحذف المفعول دفعاً لهذا التوهم ٠

يقول عبد القاهر : « الأصل لا محالة حززن اللحم الى العظم ، الا أن مجيئه به محذوفاً ، وإسقاطه له من النطق ، وتركه فى الضمير مزية عجيبة وفائدة جليلة ، وذاك أن من حذق الشاعر أن يوقع المعنى فى نفس السامع ايقاعاً يمنعه به من أن يتوهم فى بدء الأمر شيئاً غير المراد ، ثم ينصرف الى المراد ، ومعلوم أنه لو أظهر المفعول فقال : « وسورة أيام حززن اللحم الى العظم » ، لجاز أن يقع فى وهم السامع الى أن يجىء قوله : « الى العظم » أن هذا الحز كان فى بعض اللحم دون كله وأنه قطع ما يلى الجلد ، ولم ينته الى ما يلى العظم ، فلما كان كذلك ترك ذكر اللحم وأسـقطه من اللفظ ليبرىء الســامع من هــذا الوهم » (١٥) ٠

٤ ـ وقد يحذف المفعول لارادة ذكره ثانيا على وجه يتضمن ايقاع الفعل على صريح لفظه اظهارا لكمال العناية به ٠

كقول البحترى يمدح الخليفة المعتز بالله :

قد طلبنا فلم نجد لك فى السـؤ   دد والمجـد والمكـارم مثـلا

---

(١٥) دلائل الاعجاز ، المرجع السابق ، ص ١١٣ ٠

والاصل فى الأسلوب ان يقول : قد طلبنا لك مثلا فى السؤدد والمجد والمكارم فلم نجد لك مثيلا . فحذف الشاعر لفظة « مثلا » الأولى لأن الشاعر يهدف أن يوقع نفى الوجود على صريح لفظ « المثل » .

يقول صاحب البغية : « انما كان هـذا غرضه لأنه آكد فى كمال المدح ، ولو عكس فصرح أولا ، وأضمر ثانيا لفات هذا الغرض ، لأنه قد يتوهم عود الضمير على غيره »(١٦) .

بينما يرى سعد التفتازانى وجهاً آخر للحذف اذ يقول : « ويجوز أن يكون السبب فى حذف مفعول « طلبنا » ترك مواجهة الممدوح بطلب مثل له قصداً الى المبالغـة فى التأدب معه حتى كأنه لا يجـوز وجود المثل له ليطلبه »(١٧)

ولذلك عكس ذو الرمة فى قوله :

ولم أمدح لأرضـيه بشـعرى لئيمـاً ان يكون أصـاب مالا

فقد أوقع النفى على فعل المديح « لم أمدح » فيكون واقعا صريحـا على لفظ « اللئيم » ، وكذلك أسند الفعل « أرضى » الى ضمير اللئيم لأنـه لا يستحق ايقاع فعل الرضا على صريح لفظه .

٥ ــ قد يحذف المفعول قصداً الى التعميم فى المفعول والامتناع عن أن يقصره السامع . كما جاء فى قول الله تعالى : « **والله يدعوا الى دار السلام** »(١٨) أى يدعو كل الناس .

٦ ــ وقد يحذف المفعول لرعاية الفاصلة : كقوله تعالى : « **والضحى . والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى** » (١٩) . أى وما قـلاك . وكقوله تعـالى : « **والذاكرين اللـه كثيراً والذاكرات** »(٢٠) الأصـل : والذاكرين اللـه كثيراً والذاكراته ، فحذف الضـمير لرعاية الفاصـلة والاختصـار أيضا .

---

(١٦) بغية الايضاح ٢٢١/١ .
(١٧) التهذيب ــ لسعد الدين التفتازانى ١٥٠/١ .
(١٨) يونس : ٢٥ . (١٩) الضحى : ١ ــ ٣ .
(٢٠) الأحزاب : ٣٥ .

٧ ـ واما لاستهجان التصريح به كقول عائشة رضى الله عنها : « كنت اغتسل أنا ورسول الله ﷺ من اناء واحد فما رأيت منه ولا رأى منى » والشاهد : هو حذف مفعول الفعلين : « رأيت » ، و « رأى » تقصد العورة ٠ فلم تذكر استهجانا للتصريح بها ٠

وقد يكون عدم ذكره لعلة أخرى كاخفائه ، أو التمكن من انكاره ان مست اليه حاجة أو تعينه حقيقة أو ادعاء ، وغير ذلك ٠

٨ ـ وقد يحذف المفعول لمجرد الاختصار مع وجود قرينة دالة على قصد المتكلم كما فى قوله تعالى : **« رب أرنى أنظر اليك »** (٢١) أى ذاتك ٠

وكقوله تعالى : **« واذا رأوك أن يتخذونك الا هزوا أهذا الذى بعث الله رسولا »**(٢٢) ٠ فالأصل فى الأسلوب : أهذا الذى بعثه الله رسولا ٠ فالحذف قد يكون للاختصار مع افادة حال نفوس المشركين فى حقدهم على الرسول ﷺ ، كأنهم يتحاشون النطق بذلك ٠

***

تقديم بعض المعمولات على الفعل

قد يقدم الفعل وهو العامل على المعمول وهو المفعول به وغيره كالحال والظرف والجار والمجرور ، وغيره لعلة بلاغية منها :

١ ـ لرد الخطأ فى التعيين : كقولك : « علياً عرفت » لمن يعتقد أنك قد عرفت انسانا غير على ، وفى حالة التأكيد والتقرير تقول : « عليا عرفت لا غيره » ويعرف هذا بقصر القلب ٠

يقول الخطيب : « لذلك لا يصح أن يقال : « ما زيداً ضربت ولا أحداً من الناس » لتناقض دلالتى الأول والثانى ، ولا أن تعقب الفعل المنفى باثبات ضده كقولك : « ما زيداً ضربت ولكن أكرمته » ٠ لأن مبنى الكلام ليس على أن الخطأ فى الضرب فترده الى الصواب فى الاكرام ، وانما هو على أن الخطأ فى المضروب حين اعتقد أنه زيد ، فرده الى الصواب أن تقول ، ولكن عمراً »(٢٣) ٠

---

(٢١) الأعراف : ١٤٣ ٠ (٢٢) الفرقان : ٤١ ٠

(٢٣) البغية ٢٢٧/١ ٠

٢ ـ وقد يكون التقديم لرد الخطأ فى الاشتراك : وذلك فى حالة اعتقاد المخاطب « أنك تعرف عليا وعمرا » ٠ مثلا فتقول له : « علياً عرفت » وهذا ما يعرف « بقصر الافراد » ، واذا أردت تأكيد القول تقول : « علياً عرفت وحده » ٠

أما اذا كان المخاطب شاكاً فى معرفتك بين علياً وعمر فتقول : « عليا عرفت » كان ذلك « قصر تعيين » ٠ وفى قوله تعالى : **« وأما ثمود فهديناهم »**(٢٤) قد افيد التخصيص فيمن قرأ بالنصب ٠ وكذلك قوله تعالى : **«اياك نعبد واياك نستعين »**(٢٥) ٠ والمعنى : نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك ونخصك بالاستعانة لا نستعين غيرك ٠

* * *

اغراض تقديم بعض المعمولات على بعض

يعود تقديم بعض المعمولات على بعض لأغراض بلاغية :

وذلك : اما لأن أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه كتقديم الفاعل على المفعول : لأن أصله التقديم على سائر معمولات الفعل ، واذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل ممن وقع منه ، لا وقوعه على من وقع عليه ٠

٢ ـ وكتقديم المفعول الأول على الثانى كقولك : « أعطيت زيداً درهماً » ٠

٣ ـ واما لكون ذكره أهم والعناية به أتم ٠

٤ ـ واما لأن فى التأخير اخلالا ببيان المعنى كقوله تعالى : **« وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه »**(٢٦) ٠ فلو أخر **«من آل فرعون»** عن **« يكتم ايمانه »** لتوهم أن « من » متعلقة بـ « يكتم » فلم يفهم أن الرجل من آل فرعون »(٢٧) ٠

« تم بحمد الله تعالى »

---

(٢٤) فصلت : ١٧ ٠ (٢٥) الفاتحة : ٥ ٠

(٢٦) غافر : ٢٨ ٠ (٢٧) بغية الايضاح ٢٣٢/١ ٠

محتويات الكتاب

الصفحة

الصفحة

* * *

رقم الايداع ١٩٨٧/٨٣٢٨
الترقيم الدولى ٥-١٢٣-٣٠٧-٩٧٧